الأصالة (رسالة إسلامية منهجية جامعة) السنة السابعة - ١٥ / ربيع الأول / ١٤٢٣ هـ - عدد ٣٨

٣٨

الأصالة

رسالة إسلامية منهجية جامعة

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

اقرأ في هذا العدد . . .

- السلفية ظاهرة . . . التحرير
- بين تزكية النفس والتحدث بنعمة الله . . . الشيخ محمد بن موسى نصر
- رسالة إلى أهل الدين الصحيح . . . الشيخ أبو عبدالله فتحي بن عبدالله الموصلي
- الجهاد الوهمي . . . الشيخ سعد الحصين
- مع سفر الحوالي والإرجاء . . . الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري
- أسباب النصر والتمكين . . . الشيخ رياض الحقيل
- قطع اللجاج في حكم المظاهرات . . . الشيخ سعيد بن هليل العمر
- النفور السني والخروج البدعي . . . التحرير

«الأصالة» أشعر أنها اسمٌ على مسمّى - إنْ شاء الله -

الشيخ العلامة / محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله -

« مجموع فتاويه »

(رقم ٦٣١٨)

الناشر : مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية

تلفون : ٠٠٩٦٢-٦-٥٠٥٤٠٥٣

السنة السابعة - عدد(٣٨)
١٥/ ربيع الأول/ ١٤٢٣هـ

رسالة إسلامية منهجية جامعة

الأصالة

٣٨

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري (وفي كل شهرين مرة مؤقتاً)
من (مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية)
مدير المركز: الشيخ سليم بن عيد الهلالي

أسرة التحرير:
الشيخ د. محمد بن موسى آل نصر ..... رئيساً
الشيخ سليم بن عيد الهلالي ..... عضواً
الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري ..... عضواً
الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان ..... عضواً

إخواننا القراء

نرحب بكل مقال علمي رصين،
ونرغب في كل نقد هادف بناء

في (الأصالة):

منبر لكل مسلم مخلص داع على الحق.

- وفقنا الله وإياكم لكل خير -.

الاشتراكات
- المملكة العربية السعودية (٩٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٢٥ دولاراً).
- أوروبا (٣٠ دولاراً).
- أمريكا (٥٠ دولاراً).

ثمن النسخة
الأردن: (دينار)، الإمارات المتحدة: (١٠ دراهم)، البحرين: (دينار)، السعودية (١٠ ريالات)، الكويت: (٨٠٠فلس)، أوروبا (٤دولارات)، أمريكا (٥دولارات).

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (٤/٣/١٣٢٨)

عنوان المراسلة
الأردن - عمّان
ص.ب (٩٨) الرمز البريدي (١٣٧٨١).
تلفاكس: ٥٠٥٤٠٥٣ - ٦ - ٠٠٩٦٢
موقعنا على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):
www.albani-center.com
البريد الإلكتروني: albani1421@hotmail.com
ترسل المقالات والاشتراكات باسم رئيس تحرير مجلة الأصالة

تطلب (الأصالة) من:
الإمارات: جمعية دار البر - دبي
البحرين: مكتبة التوحيد
الجزائر: مجالس الهدى للإنتاج والتوزيع
08 شارع السيدة الإفريقية - باب الوادي - الجزائر
هاتف: ٢١٩٦٧٧٠٠ (٠)٢١٣ فاكس: ٢١٩٦٦١٠٠ (٠)٢١٣
البريد الإلكتروني: madjaliss@hotmail.com

بريطانيا وإيرلندا:
Call to Islam Education Centre
116 Bury Park Road
Luton Beds
England. UK
Tel: 01582 724 647
FAX: 01582 724 654
E-Mail: calltoislam@hotmail.com
Web site: www.calltoislam.com

الولايات المتحدة:
AL-QURAN WAS-SUNNAH SOCIETY (QSS)
19800 VAN DYKEROAD
Detroit 48234-3354
Tel: (313) 893 - 3768
Fax: (313) 893 - 3748

وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات السلفية في العالم.

خطبة الحاجة

إنَّ الحَمْدَ للهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنستَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

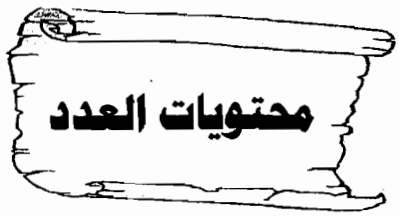

محتويات العدد

• **فاتحة القول:** السلفية ظاهرة

التحرير ٥

• **تأملات قرآنية:** بين تزكية النفس والتحدث بنعمة الله

الشيخ د. أبو أنس محمد بن موسى آل نصر ٩

• **الكلم الطيب:** دلالة أحاديث الخوارج على حجية المنهج السلفي؟! (١)

الشيخ أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي ١٤

• **توجيهات إسلامية:** تحذير الطالب الحائر من الأخذ عن الأصاغر

خالد بن عبدالعزيز الجناحي ٢٠

• **نحو صراط الله المستقيم:** رسالة إلى أهل الدِّين الصحيح (١)

الشيخ أبو عبدالله فتحي بن عبدالله الموصلي ٢٤

• **من سنن الله:** عواقب الهلع والإقدام عند انحراف العقيدة والأنفس

الشيخ أبو عبدالرحمن هشام العارف المقدسي ٣٠

• **يسونها بغير اسمها:** الجهاد الوهمي!

فضيلة الشيخ سعد الحصين ٤٠

• **في السياسة الشرعية:** العمليات الفدائية: أهي انتحارية؟! أم استشهادية (٣)

الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ٤٤

• **الداء والدواء:** أسباب النصر والتمكين

الشيخ رياض الحقيل ٥٨

• **كلمات في الدعوة والمنهاج:** مع سفر الحوالي، والإرجاء ... مرة أخرى! (١)
الشيخ أبو الحارث علي بن حسن الحلبي الأثري ٦٣
• **آداب إسلامية:** آداب الطعام في الشريعة المطهرة (٢)
الحارث بن زيدان المزيدي ٦٨
• **مسائل وأحكام:** قطع اللجاج في حكم المظاهرات
الشيخ سعيد بن هليل العمر ٧٦
• **متابعات:** النشاطات الدعوية والعلمية لـ«مركز الإمام الألباني»
..... ٨١
• **مسك الختام:** النفور السني، والخروج البدعي
التحرير ٨٢

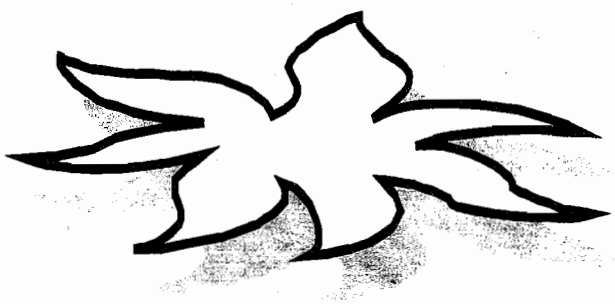

السلفية ظاهرةٌ -بإذن الله-

●بقلم: أسرة التحرير

إن النسبة إلى السلف شرفٌ وعِزٌّ وَفَخارٌ لكل مَن آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

وعليه؛ فَمَنْ عَلِمَ أن السلف هم أصحاب رسول الله ﷺ الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه؛ وهم جيل القدوة الذين تربَّوا على عين رسول الله ﷺ، وهم فوقنا في كل خير، ونحن لهم تبع، وسبيلُهم من سبيل رسول الله ﷺ؛ كما قال -تعالى-: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ [النساء:١١٥]: تبيَّنْ له أن اتباع سبيل المؤمنين -وهم الصحابة رضي الله عنهم- واجب شرعي؛ لأن تنكُّب سبيلهم سبب للضلال في الدنيا والهلاك في الآخرة ﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ [النساء:١١٥].

أي: لا يبالي الله به في أي واد هلك، يتخلّى الله عنه؛ فيكون نَهَباً للشياطين الجنِّية والإنسية، وفي الآخرة نتيجته سيئة، وثمرته مرة، ومصيره لعذاب بئيس؛ لأنه لم يهتد بهدى أبي بكر وعمر.

وإنَّ من أظهر علامات أهل السنة حب الصحابة والترضِّي عنهم، وبُغض من يبغضهم، والتبرُّأ مما عليه الرافضة الشيعة الشنيعة؛ حيث يسبون الصحابة كباراً وصغاراً، سابقين ولاحقين، ويلعنونهم، ويتبرؤون منهم ويجعلون ذلك من أعظم قرباتهم إلى الله -زعموا وكذبوا-!!

وعليه؛ فمن قال: أنا لست سلفياً -إن كان يعلم حقيقة ما يقول -على ما تقدم- فقد سَفِهَ نفسه؛ لأن الصحابة على مِلَّة إبراهيم ومِلَّة محمد ﷺ قال -تعالى-: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة:١٣٠]، وهؤلاء المتبرؤون المحاربون للسلفية قد حشروا أنفسهم في حزب الشيطان؛ لأن السلفية تطبيق عملي حي لأصحاب الصراط المستقيم -الذين أنعم الله عليهم قديماً وحديثاً-، والذين قال الله فيهم: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾ [النساء:٦٩].

ومن خالفهم فقد أبى دخول الجنة وأبى إلا أن يكون من أتباع السبل الهلكى -حتى لو كانوا الأكثر، فالحق لا يعرف بالكثرة قال -عليه الصَّلاة والسَّلام-: «افترقت اليهود والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «هم الجماعة».

وفي رواية: «هم الذين على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

فمن كان يَنْشُدُ النَّجاة والهداية، ويأبى أن ينهج ما كان عليه رسولُ الله ﷺ وأصحابُه فإنّه مُصيبُهُ -ولا بُدَّ- وعيد الآية المتقدمة ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء:١١٥]، ووعيدُ قوله -عليه السلام-: «كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».

والدّعوة السلفية المباركة -بحمد الله- تسعى جاهدة لتحقيق ذلك عملياً في دنيا الناس، ولكنها -للأسف- تجد عقبات

كثيرة -من خصومها- لمنعها من أداء رسالتها، ويُفترى عليها، وتتهم بما تَبْرَأُ إلى الله منه -جملة وتفصيلاً-، بل يُستعدى عليها السلطان في كثير من البلدان . . .

وهذا ديدن أهل البدع منذ قديم الزمان، وما سلم منه أحد حتى الأنبياء والصحابة والأئمة الربانيُّون.

فاتهام الدعوة السلفية -مثلاً- بأنها حركة -بمعنى أنهم حزب- ظلم وَتَجَنٍّ عليها؛ فهي تحارب الحزبية المقيتة -التي فرَّقت الأمة- كما حاربت المذهبية من قبل.

وهذا التعبير دخيلٌ على الدَّعوة السّلفيّة، ولا يوجد إلا في أذهان الحزبيين والحداثيِّين -الذين يظنون أن السلفية حركة حزبيّة كسائر الحركات التي أسسها رؤساء الأحزاب والجماعات، وما علم أولئك(!) أن الدعوة السلفية هي دعوة محمد ﷺ وأصحابه، وأن حركتها -إن صح هذا الوصف!- قائمة على الدعوة إلى الله على بصيرة، وبالحكمة والموعظة الحسنة- جمعاً، وتأليفاً، وتوحيداً لكلمة المسلمين على كلمة التوحيد- دون حزبيات مقيتة، أو بدعيات محدثة؛ بل تعاوناً شرعياً قائماً على الدليل.

والدعوة السلفية المباركة أبعد ما تكون عن الصِّدَام مع حُكَّام المسلمين -وإن جاروا وظلموا-؛ بل تنصح لهم وترفق بهم وتدعو لهم؛ كما قال الإمام الفضيل بن عياض -رحمه الله- وغيره: لو كانت عندي دعوة مستجابة لدعوت بها للسلطان؛ لأن بصلاحه صلاح الأمة.

فالسلفيون الأصفياء -لا الأدعياء!- لا يُهيّجون ولا يُثوِّرون العامَّة على حكّامهم ليصلوا إلى أهداف مُعيّنة!! فالأمن والأمان والإيمان هي: أصل أصول دعوتهم، وهم أكثر الناس -والواقع يشهدُ- نبذاً للعنف والتثوير والتهييج السياسي الذي أفسد البلاد والعباد، فهم أحق بالإكرام والتقديم، لا المطاردة والمصادرة والإبعاد -عياذاً بالله-،

والله -تعالى- يقول: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

وقال -تعالى-: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:٤].

وكان من دعائه الشريف -عليه السلام-: «. . . إنه لا يَذِلُّ من واليت، ولا يَعِزُّ من عاديت».

. . . وأمّا بعضُ النّاس الذين تَسَرْبلوا لَبُوسَ السلفيّةِ، وتزيَّوْا بِزيِّ دُعاتها؛ وأظهروا للناس(!) أنّهم منها، وأنّها منهم: فهم -في الوقتِ نفسِهِ- يُخالِفون عُلماءَها، ويطعنون لهم، ويغمزون بمنهجهم؛ فضلاً عن طعنهم وغمزهم بدعاتها، وحَمَلتِها...

فكيف تلتقي هذه الدعوى -الكذوب- بهذا الحالِ المقلوب؟!

﴿سُبحانكَ هذا بُهتان عظيمٌ﴾ .

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠].

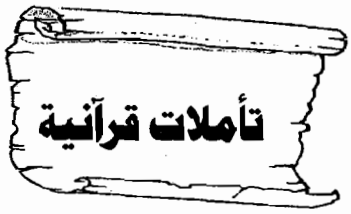

بين تزكية النَّفس، والتَّحدث بنعمة اللّه

• بقلم: الشيخ محمد بن موسى آل نصر

قال الله -تعالى-: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم:٣٢].

يظن بعض الجهلة بتفسير كلام الله أن هذه الآية تنهى المسلم عن ذكر ما مَنَّ الله به عليه من نعمة، أو خَصَّ من خير، معرضين عن أقوال جماهير المفسرين في بيان المعنى المراد منها ضاربين عرض الحائط بقول الله -تعالى-: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

فظن هؤلاء -حسداً من عند أنفسهم- أن المراد بالآية المنع من التحدُّث بالنعمة، وأن من ذكر شيئاً من الخير وفقه الله إليه يكون مدفوعاً قد قطع لنفسه بالجنة وادعى التقوى والصلاح.

والصحيح: أن الصواب ما قاله أئمة التفسير في معنى هذه الآية ومدلولها، وإليكم ما قاله المفسرون:

قال الطبري في «جامع البيان» (٧/ ١٥٣): «وقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ يقول: -جل ثناؤه-: فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي، وقوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ يقول -جل ثناؤه-: ربك يا محمد أعلم بمن خاف عقوبة الله فاجتنب معاصيه من عباده».

بمن خاف عقوبة الله فاجتنب معاصيه من عباده».

وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»[1]: قوله -تعالى-: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ كما قال -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٤٩].

وذكر حديثاً صحيحاً تفسيراً للآية لأن التفسير الصحيح يكون بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة؛ فقال: «وقال مسلم في «صحيحه»: ... عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سميت ابنتي برة فقال رسول الله ﷺ: «لا تزكوا أنفسكم؛ إن الله أعلم بأهل البر منكم» فقالوا: بم نسميها قال: «سموها زينب»[2].

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: مدح رجل رجلاً عند النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ويلك قطعت عنق صاحبك مراراً إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل: أحسب فلاناً -والله حسيبه- ولا أزكي على الله أحداً -أحسبه كذا وكذا- إن كان يعلم ذلك-»[3].

وجاء رجل إلى عثمان -رضي الله عنه- فأثنى عليه في وجهه قال: فجعل المقداد بن الأسود يحثو في وجهه التراب ويقول: أمرنا رسول الله ﷺ إذا لقينا المدَّاحين أن نحثو في وجوههم التراب[4].

مما تقدَّم من نصوص قرآنية ونبوية وآثار سلفية يتبين لذي بصر وبصيرة أن أكثر الناس في غفلة وجهالة عن تفسير الآية الحقيقي الذي فهمه السلف الصالح، وأن تحدَّث طالب العلم ببعض ما تفضل الله عليه من فهم واستنباط

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٦٦٥) طبع دار الفتح - الشارقة.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٤٢).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٥،٤٦) والبخاري (٢٦٦٢) ومسلم (٣٠٠) وأبو داود (٤٨٠٥) وابن ماجه (٣٧٤٤).

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٥) ومسلم (٣٠٠٢) وأبو داود (٤٨٠٤).

والجنة، وما علم أمثال أولئك أن ذلك من التحدُّث بنعمة الله الذي أمر به المسلم والذي درج عليه سلفنا -رضي الله عنهم- والتخليط في هذا الأمر حَمَل هؤلاء على فهم النصوص على غير مراد الله منها.

وسأنقل للقارئ كلام أهل العلم قديماً وحديثاً وتحدثهم بنعم الله عليهم وهم الأعلم -في زمانهم- بتفسير كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ.

قال أحد الحاقدين الشانئين -وهو بالذم قمين- رداً عليَّ مدعياً مفترياً أنني أُزكّي نفسي في كتابي «منهج السلامة فيما ورد في الحجامة»: صدَّر مقدمة الكتاب بالمدح والثناء عليه حيث قال -يعني المؤلف-: «ولست أول من صنَّف في الحجامة، فقد سبقني مؤلفون قدماء ومعاصرون، ولكن بحثي هذا يفوق -بفضل الله تعالى- كلُّ ما سبق في الوصف والكيف»، ثم قال بعد ذلك: «أقول لأخي أبي أنس -وهو الذي قرأ القرآن ويقرأه[1]- ألم تقرأ قول الله -عز وجل-: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢] فأرجو منك أن تراجع تفسير هذه الآية[2] وبمثيلاتها في كتاب الله -عز وجل- وتذكرْ سيرة السلف الصالح؛ حيث كانوا يمدحون كتب غيرهم، ولا يجرون على ألسنتهم سيرة كتبهم ومؤلفاتهم؛ لأن هذا الأمر متروك للقارئ وليس للمؤلف . . .»، إلى أن قال: «وإنك لتعلم أن هذا الأمر لم يكن من فعل السلف الصالح لا في كتبهم، ولا في غير كتبهم، وإن حصل من بعضهم إلا أنه لم يجد القبول له، ولا لكتبه عند أهل العلم[3].

أقول -وبالله التوفيق- إن ما قلته لا يفهم منه التزكية لنفسي أو لكتابي- في تقوى أو ورع كما هو مفهوم النهي في

---

(1) كذا كتبها والصواب يقرئه، فانظر إلى جهله بأيسر قواعد الإملاء.

(2) قد راجعتها في أكثر من تفسير ووجدت تفسيرها خلاف ما فهمتَ وقلتَ.

(3) صفحة (١) من «نصيحة وأمل».

الآية- وإنما هو من باب التحدُّث بنعمة الله -في العلم- وقد أمرنا الله بذلك قال -تعالى-: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١].

وقد سلك هذا المسلك جمع من الأئمة الأعلام والمفسرون الفقهاء والمحدثون، وسأكتفي بذكر أربعة منهم؛ لا تستطيع أن تطعن في سلفيّتهم، ولا دينهم، ولا أخلاقهم، وليسوا من المعاصرين لك ليكونوا أنداداً لك، وهؤلاء هم:

أولاً: مكي بن أبي طالب القيسي المقرئ شيخ أبي عمرو الداني.

قال -رحمه الله- في كتابه «الإبانة عن معاني القراءات» (ص١٩): «هذا كتابٌ أبين فيه -إن شاء الله تعالى- معاني القراءات، وكيفيتها، وما يجب أن يعتقد فيها، مع ما يتصل بذلك من فوائدها، وغرائب معانيها، وما علمتُ أن أحداً تقدمني إلى مثل كتابي هذا، أي: بما جمعت وبينت فيه -أعظم الله عليه الأجر، وأكمل به الذكر، وجعله خالصاً، ولا جعله رياءً ولا سمعة-».

قلت: فهل كان الإمام المقرئ مكي بن أبي طالب القيسي الذي ألَّف أكثر من مئة كتاب في التفسير والقراءات وغريب اللغة وغير ذلك مزكياً نفسه مخالفاً للسلف ومنهجهم، وعقيدتهم حين قال ذلك؟!!

ثانياً: شيخ الإسلام ابن تيمية قال -رحمه الله- متحدثاً بنعمة الله عليه-: **«قد فتح الله عليّ في هذه المرة من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن»**[1].

فهل زكّى شيخ الإسلام نفسه حين قال ذلك، وسطر ذلك، وهل جهل قوله -تعالى-: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم:٣٢]، وهو المفسِّر الذي قرأ أكثر من مئة تفسير، ووعى

(١) انظر «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» لابن عبدالهادي ص (٢١-٢٢).

التفسير، وكان من أكثر أهل العلم اتباعاً للسنة والكتاب.

ثالثاً: ابن قيم الجوزية، قال -رحمه الله- مادحاً كتابه «زاد المعاد» -خصوصاً كتاب الطب -منه- (٤/ ٤١٣): «**قد أتينا على جملة نافعة من أجزاء الطب العلمي والعملي؛ لعل الناظر لا يظفر بكثير منها إلا في هذا الكتاب، وأريناك قرب ما بينها وبين الشريعة**».

أقول: هل زكّى نفسه، وخالف السلف -هذا الإمام- حين ذكر ذلك؟!

هل أصبح خلفياً صوفياً؛ لأنه ذكر ما خصَّه الله به من علم وبيان، ومعرفة؟!

سبحانك هذا بهتان عظيم.

رابعاً: الإمام الشوكاني المفسّر، والفقيه علامة اليمن:

قال -يرحمه الله- في مقدمة تفسيره- (١/ ١٣): «فهذا التفسير، وإن كبر حجمه فقد كثر علمه، وتوفّر من التحقيق قَسْمه، وأصاب غرض الحقّ سهمه، واشتمل على ما في كتب التفاسير من بدائع الفوائد مع زوائد فوائد وقواعد شوارد، فإن أحببتَ أن تعتبر صحة هذا، فهذه كتب التفسير على ظهر البسيطة، انظر تفاسير المعتمدين على الرواية، ثم ارجع إلى تفاسير المعتمدين على الدراية، ثم انظر في هذا التفسير بعد النظرين، فعند ذلك يسفر الصبح لذي عينين، ويتبين ذلك أن هذا الكتاب هو لب اللباب، وعجب العجاب، وذخيرة الطلاب ونهاية مأرب الألباب، وقد سميته «فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير»».

أقول: فهل زكّى الشوكاني نفسه، وقطع لها بالجنة، حين سطر هذا الكلام؟!

وهل جهل تفسير الآية وهو المفسر الذي لا يُشقُّ له غبار؟!

إنَّ عبارتي لا تخرج عن معنى كلمات هؤلاء الأئمة، وأنا طالب علم اقتفي أثرهم وأنا لهم تبع، وهم أهل الأثر شهد لهم علماؤنا بالأمانة والهداية، والإستقامة، فماذا أنت قائل فيهم وفي أقوالهم؟!

وهل هم سلفيون أم خلفيون.

﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ؟!

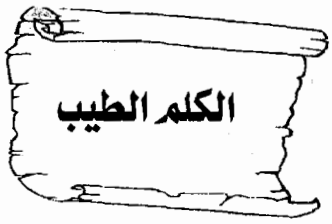

دلالة أحاديث الخوارج على حجية المنهج السلفي؟!

● بقلم: الشيخ أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

خاصف النّعل ومعركة التّأويل

عن أبي سعيد الخدري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن؛ كما قاتلت على تنزيله»؛ فاستشرفنا- وفينا أبو بكر وعمر-؛ فقال «لا؛ ولكنه خاصف النعل»؛ يعني: علياً -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

صحيح: أخرجه النسائي في «خصائص علي» (١٦٦/١٥٦)- وعنه الطحاوي في «مشكل الآثار» (١٠/ ٢٣٨/ ٤٠٥٩)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٢٤٢/ ٣٨٦)-، وأبو يعلى في «المسند» (٢/ ٣٤١-٣٤٢/ ١٠٨٦)- وعنه ابن حبان في «صحيحه» (٥٤٤/ ٢٢٠٧-موارد)-، والطحاوي في: «مشكل الآثار» (١٠/ ٢٣٧/ ٤٠٥٨)، والقطيعي في «زوائد فضائل الصحابة» (٢/ ٦٣٧/ ١٠٨٣)، والحاكم (٣/ ١٢٢- ١٢٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٤٣٦)، والبغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٢٣٢-٢٣٣/ ٢٥٥٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج١٢/ ق١٧٩/ أ) من طرق عن الأعمش.

وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ٦٤/ ١٢١٣١)- ومن طريقه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ٢٦٦٦)-، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٠/ ٢٣٩/ ٤٠٦١) من طريق عبد الملك بن حميد بن أبي غنية.

وأحمد (٣/ ٣١و٣٣و٨٢)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٠/ ٢٣٨-٢٣٩/ ٤٠٦٠)، والآجُرِّيِّ في «الشريعة» (٤/ ٢٠٩٧- ٢٠٩٨/ ١٥٩١-ط دار الوطن) ، والقطيعي في «زوائد فضائل الصحابة» (٢/ ٦٢٧/ ١٠٧١)- وعنه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٦٧)، والمِزيِّ في «تهذيب الكمال» (٩/ ١٥٩)-، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٤٣٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج١٢/ ق١٨٠/ أ)، والحاكم (٣/ ١٢٢-١٢٣) من طرق عن فطر بن خليفة.

ثلاثتهم عن إسماعيل بن رجاء بن ربيعة الزبيدي عن أبيه قال: سمعت أبا سعيد الخدري (وذكره).

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي.

قال شيخنا أسد السُّنَّة العلامة الإمام الألباني -رَحِمَهُ الله- في «الصحيحة» (٥/ ٦٤٠): «وهذا من أوهامهما؛ فإن إسماعيل بن رجاء وأباه لم يخرج لهما البخاري؛ فهو على شرط مسلم وحده».

قلت: وهو كما قال.

ونقل البغوي عن الحاكم أنه قال: «هذا حديث صحيح».

قلت: وهو أقرب من كلامه السابق.

أمّا ابن الجوزي؛ فأعلَّه بإسماعيل؛ فقال: «قال الدارقطني: «إسماعيل ضعيف»، وقال ابن حبان: «منكر الحديث، يأتي عن الثقات بما لا يشبه حديث الأثبات» ».

قلت: وقد وهم -رَحِمَهُ الله-؛ فإنه ظن إسماعيل بن رجاء الزبيدي -راوي حديثنا هذا- هو الحصني الذي ضعفه الدارقطني وابن حبان، وليس كذلك؛ لأن إسماعيل -راوي حديثنا هذا- متقدِّم طبقة على الحصني، ثم هم لم يذكروا الحصني هذا ضمن شيوخ الأعمش وفطر بن خليفة وابن أبي غنية الذين رووا هذا الحديث عن إسماعيل؛ ولذلك قال الإمام الذهبي -رَحِمَهُ الله- في «تلخيص العلل المتناهية» (ق١٨):

«تكلم فيه ابن الجوزي من قبل إسماعيل؛ فأخطأ؛ هذا ثقة، وإنما المضعَّف رجل صغير روى عن موسى ابن الحصين؛ فهذا حديث جيد السند».

ولبعض الحديث شاهد من حديث علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بنحوه: قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر قريش! والله ليبعثن الله عليكم رجلاً منكم؛ امتحن الله قلبه للإيمان؛ فيضربكم على الدين، أو يضرب بعضكم»، قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا»، قال عمر: أنا هو يارسول الله؟ قال: «لا؛ ولكن الذي يخصف النعل»؛ وقد أعطي علياً نعلاً يخصفها.

أخرجه الترمذي (٥/ ٦٣٤/ ٣٧١٥)، والنسائي في «خصائص علي» (٥٤-٥٥/ ٣١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ٦٣/ ١٢١٣٠)، وأحمد (١/ ١٥٥)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٥٩)، و«شرح مشكل الآثار» (١٠/ ٢٣١-٢٣٢/ ٤٠٥٣و٤٠٥٤)، والقطيعي في «زوائد فضائل الصحابة» (٢/ ٦٤٩-٦٥٠/ ١١٠٥)، والحاكم (٢/ ١٣٧-١٣٨و٤/ ٢٩٨-٢٩٩)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢/ ٦٨-٦٩/ ٤٤٥)، ومحمد الكنجي في «كفاية الطالب» (ص٩٦)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٤٠٥) من طريق شريك القاضي عن منصور بن المعتمر عن ربعي عن علي به.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث ربعي عن حراش».

قال شيخنا -رَحِمَهُ الله- في «الصحيحة» (٥/ ٦٤٣): «شريك سيئ الحفظ، ولكنه يصلح للاستشهاد به والتقوية».

قلت: وهو كما قال.

أما الحاكم؛ فقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي(!)

قلت: وليس كما قالا؛ فإن شريكاً لم يحتجَّ به مسلم، وإنما روى له في المتابعات؛ كما صرح به غير واحد

من المحققين، ومنهم الذهبي -نفسه- في «ميزان الاعتدال» (٢/ ٢٧٤) حيث قال: «وقد أخرج مسلم لشريك متابعة».

ولهذا الشاهد طريق أخرى: أخرجها أبو داود (٣/ ٦٥/ ٢٧٠٠)- ومن طريقه البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٧/ ١٥٩/ ٥٥٧٧)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢/ ٦٩-٧٠/ ٤٤٦)-، وابن الجارود في «المنتقى» (٣/ ٣٤٤-٣٤٥/ ١٠٩٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ٣١٥-٣١٦/ ٤٣٠٧)، والفاكهي في «تاريخ مكة» (٥/ ٧٢/ ٢٨٦٣)، والحاكم (٢/ ١٢٥)- وعنه البيهقي (٩/ ٢٢٩)-، والخطيب البغدادي في «تلخيص المتشابه» (ص٧٦٤) من طريق مُحَمَّد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن منصور بنحوه.

قلت: وابن إسحاق مدلس، وقد عنعن، ولم يصرِّح بالتحديث؛ لكن لا بأس به في المتابعات.

أما الحاكم؛ فقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرِّجاه»، ووافقه الذهبي.

قلت: وقد وهما في هذا؛ فإن ابن إسحاق لم يحتجَّ به مسلم، وإنما روى له في المتابعات والشواهد؛ كما صرح به غير واحد من المحققين، ومنهم الذهبي -نفسه- في «الميزان» (٣/ ٤٧٥)؛ فقال: «وقد استشهد مسلم بخمسة أحاديث لابن إسحاق ذكرها في «صحيحه»».

وبالجملة؛ فالحديث صحيح؛ بلا ريب.

* * *

هذا الحديث العظيم من دلائل نبوة مُحَمَّد ﷺ، فقد قاتل علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ الخوارج الذين خالفوا الأمَّة في تأويل القرآن، وهذا حجة دامغة، وبينة بالغة، للمنهج السلفي المبيّن من وجوه متعددة.

١- إخبار رسول الله ﷺ بحدوث الفرقة والقتال بين أمته.

٢- جعل رسول الله ﷺ المتقاتلين فرقتين والعسكر صفين: فرقة في الصحابة الكرام وفرقة في صف الخلوف الأقزام.

٣- بيَّن رسول الله ﷺ سبب الخلاف وسبب القتال بأنه خروج الخلوف عن تأويل الصحابة للقرآن.

٤- وهذا يدل دلالة واضحة لا لبس فيها ولا غموض يعتريها على أن فهم السلف الصالح -الصحابة ومن تبعهم بإحسان- هو المعيار الذي يُرجع إليه، والأساس الذي يُعتمد عليه، والصراط المستقيم الذي لا بدَّ من المسير فيه والمصير إليه.

٥- لقد قاتل رسول الله ﷺ الكفار الأقحاح على التنزيل وقاتل أصحابه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- خلوف الخوارج الخُلَّص على التأويل، فدل على ما يأتي:

أ- أن التنزيل والتأويل من الوحي الذي يجب أن يُصان من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ولو أدى إلى القتل والقتال.

ب- أن معركة التأويل استمرارٌ لمعركة التنزيل، والذي قاد معركة التنزيل هو رسول الله ﷺ، فمن قاد معركة التأويل سيكون لا ريب على أثره، متبعاً سنته، مقتفياً أثره حذو النعل بالنعل؛ فطوبى لخاصف النعل وأصحابه ولمن اتبعهم وحسن مآب.

ت- فكما أن قتال رسول ﷺ للكفار حقٌّ وواجب؛ فكذلك قتال الصحابة لخلوف الخوارج الذين خرجوا على فهمهم للكتاب والسُّنَّة حقٌّ وواجب.

٦- استشراف وزيرا رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر لهذا المقام يدل على الآتي:

أ- أن التصدي لتأويل الجاهلين له مرتبة عالية ومنزلة عظيمة . . . إنهم عدول الأمة؛ كما قال رسول ﷺ في الحديث الصحيح لشواهده: «يحمل هذا العلم من كلِّ خلف عدوله؛ ينفون عنه: تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

ب- إن العلماء هم القادة وهم السادة الذين ينبغي الانحياز لصفِّهم والتمسُّك بغرزهم.

ت- استمرار دعاة هذا المنهج الحقِّ وهم العلماء في حمله جيلاً فجيل حتى يقاتل آخرهم الدجال.

٧- دليل جليٌّ على أن الذي يسير على فهم الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهم-، ويسلك سبيلهم، ويجاهد الخلوف المخالفين للمنهج السلفي هو المؤهَّل شرعاً وقدراً لجهاد الكفار الأقحاح[1].

٨- النعل يدل على الأثر، وخاصفه يدل على المهتم بالأثر المتَّبِع لمساره، ولن ينجو إلا من تمسك بالأثر، وهو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قيل: يارسول الله أي الناس خير؟ فقال: «أنا، والذين معي، ثم الذين على الأثر، ثم الذين على الأثر ثم كأنه رفض من بقي».

أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٧و ٣٤٠)، وأبو نعيم (٢/ ٧٨) بإسناد حسن.

وللبحث بقية . . .

(١) وهذا ما سنبينه بجلاء -إن شاء الله- في دلالة أحاديث قتال اليهود على حجية المنهج السلفي.

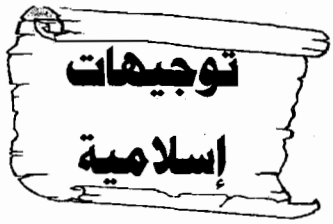

تحذيرُ الطالب الحائر مِن الأخذ عن الأصاغر

● بقلم: خالد بن عبدالعزيز الجناحي

الحمد لله مُنزِلِ الكتابِ، ومُلهمِ الصوابِ، ورافع الأوصابِ، والصلاةُ العجاب على مبيِّنِ الكتابِ، وإمام أهل الألبابِ، سيدنا وحبيبنا محمد وآله وصحبهِ الأحبابِ.

أما بعد:

فهذه أكتوبةٌ مجموعةٌ في وريقاتٍ قليلةٍ معصورة، من كتبٍ كثيرةٍ وجليلةٍ، سَطَرتُها لمن رامَ طلبَ العلم، وشمّر في تحصيله ولو خاض اليَمَّ، وجعل نيّته خالصةً لله -تعالى-، لا يُريدُ سُمعةً كان ولا شهرة، ولا أيُ نوعٍ من أعراض هذه الدنيا.

أقول -وبالله التوفيق-:

لقد مَنَّ الله علينا في هذا العصر بنشاط علمي مبارك، كان أربابه علماءٌ أجلاّء، أيقظوا الهمم الشادية، وأحيوا كثيراً من السُنَنِ المهجورة، فلله دُرّهم على ما فَعلوا، وأسألُ الله أن يُنوّر قبورهم على ما أزلفوا، وأن يجعلنا ممن يسيرُ على دربهم الذي بيّنوا.

هذا، وقد ظهر مؤخراً على الساحةِ العلميةِ أحداثٌ ينتسبون إلى العلم ليس لهم منه حظٌ إلاّ اسمه، «ويَعدُّون أنفسهم من أهله، والمتخصِّصين بسماعه ونقله، وهم أبعد الناس مما يدَّعون، وأقلُّهم معرفةً بما إليه ينتسبون، يرى الواحد منهم إذا كتب عدداً قليلاً من الأجزاء، واشتغل بالسماع بُرهةً يسيرةً من الدَّهر، أنّه صاحب حديث على الإطلاق، ولَّما يُجهد نفسه ويُتعبها في

طِلابـه، ولا لحِقته مشقّة الحفظِ لصنوفهِ وأبوابه.

وهـم- مـع قلّـة كَتـبهم له، وعـدمِ معرفـتهم بـه- أعظـمُ الناسِ كِبراً، وأشدّ الخلـقِ تـيهاً وعجـباً، لا يـراعون لشـيخٍ حُرمَةً، ولا يُوجبونَ لطالبٍ ذمّةً، يَخرِقونَ بالـراوين، ويُعـنّفونَ عـلى المـتعلّمين، خِـلافَ مـا يقتضـيهِ العلم الذي سمعوه، وضدَّ الواجب مما يلزمهم أن يفعلوه.

والواجـب أن يكـونَ طلـبةُ الحديثِ أكملَ الناسِ أدباً، وأشدَ الخَلْقِ تواضعاً، وأعظمَهـم نـزاهةً وتديُّنا، وأقلّهم طيشاً وغضـباً، لدوام قرعِ أسماعهم بالأخبار المشـتملة على محاسن أخلاق رسول الله ﷺ وأدابـه، وسيرة السلف الأخيار من أهـل بيـتهِ وأصـحابه، وطرائقِ المحدثين، ومآثـر الماضـينَ، فـيأخذوا بأجمـلها وأحسـنها، ويصـدفوا عـن أرذلهـا وأدونها»[1].

فـإذا عرَفـتَ هذا يا طالب العلم أنَّ في السـاحةِ مـثلَ هـؤلاء، وعلمـت أنَّ رسـول الله ﷺ قـد أخـبر عـن هـذا الصـنف بقولـه: «إن من أشراطِ الساعةِ أن يُلتمسَ العلمُ عند الأصاغر»[2]، وأن ابـن مسـعود قال: « لا يزالُ الناسُ بخير ما أتاهم العلم من قبلِ أصحابِ محمد؟ وأكابِـرهم، فـإذا أتـاهم العـلمُ من قبل أصـاغِرِهِم فذلـك حـين هلكـوا»[3]، وقـال ﷺ: «إنكـم لـن تزالوا بخير مادام العلمُ في ذوي أسنانكم، فإذا كان العلمُ في الشـباب أنفَ ذو السنِّ أن يَتعلمَ من الشباب»[4]، وقال عمر: «فسادُ الدينِ إذا جـاءَ العـلمُ من قبلِ الصغيرِ واستعصى

(١) «الجـامع في أخـلاق الـراوي و آداب السامع»: (١/ ٧٥-٧٦)

(٢) رواه ابـن المبارك في «الزهد» (برقم: ٦١) بسندٍ صحيح

(٣) رواه أبـو خيـثمة في «العلم» (برقم:١٥٥) بسندٍ جيِّد

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (برقم: ٨١٥) بسندٍ صحيح.

على الكبير، وصلاحُ الناس إذا جاء العلمُ من الكبير تابعهُ عليهِ الصغير».[1]

حينها، وَجَبَ عليكَ أن تتوخى الحَذَرَ في طلبكَ للعلمِ، وأن لا تأخذَ إلا عن أكابرِ عصرك، أصحابِ الفُتيا، الراسخينَ في العلم؛ لـ «أن هذا العلم دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم»[2].

واعلم-يا من تُريدُ العلمَ- أنَّ المتعالمينَ في عَصرِنا قد كَثُروا، وعلى الفُتيا تجرَّؤا، وعن الورعِ ابتَعَدوا فتجدُ الواحدَ منهم كما قال أبو الحسن السُّدِّي: «إن أحدهم ليَفتي في المسألة ولو وَرَدَت على عمر لجَمَعَ لَهَا أهلَ بَدر!!» وصحَّ عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالا: «من أفتى الناس في كل ما يسألونهُ عنهُ فهو مجنون» [3].

وهؤلاء ما تجرَّؤا على الفُتيا إلا لأنهم جهلوا خطرَها وعِظمَ وزرها، وهذا ابن عباس يقول لمن سأله: «أتُريدون أن تجعلوا ظُهورَنا جُسوراً على مَتنِ جَهَنَّم، فمن أفتى فهو مسؤولٌ أمام رَبِّهِ فليُعِد للسؤالِ جواباً وللجوابِ صواباً». فهذا أبو بكر الصديق؟ يُسأَلُ عن شئ من تفسيرِ القرآن لا يعلمهُ فيقول: «أيُّ سماءٍ تظلُّني وأي أرضٍ تقلني إن أنا قلت في كتاب الله بغيرعلم»[4].

فللهِ در القائل:

تصدّر للتدريسِ كل مهوسٍ
بليدٍ تسمَّى بالفقيهِ المدرسِ
فَحُقَّ لأهل العلم أن يتمثَّلوا
ببيتٍ قديمٍ شاعَ في كُلِّ مجلسِ
لقد هزُلت حتى بدا من هُزالِها
كُلاها وحتى سامها كُل مُفلِسِ

---

(١) رواه القاسم بن أصبغ في «مصنفه» بسندٍ صححه الحافظ في الفتح: (١/ ٣٠١-٣٠٢).

(٢) أخرجه مسلم في «المقدمة» من قول محمد ابن سيرين -رحمه الله-.

(٣) أخرجه الخطيب في «الفقيه و المتفقه» برقم (١١٩٤-١١٩٥) بسندٍ صحيح.

(٤) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (برقم: ١٥٦١) بسندٍ حسن.

وهذا لا يعني أن الشَّابَّ لا يمكنُ أن يكون عالماً أو طالبَ علم، بل يوجدُ من الشبابِ قديماً وحديثاً من فتحَ الله عليه في الفهمِ والرسوخ العلمي، فهذا ابن عباس كما في الصحيح يقول: «كُنتُ أُقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف»[1]، ففي هذا الأثر تنبيهٌ على أخذ العلم من أصحابه وإن كانوا صِغارَ السنِّ.

أخي-طالب العلم- عليك بأكابر عصرك تَصِلْ إلى مُبتَغاكَ، وتَنَل مُرادكَ، وتَرتفع درجاتُكَ عند مليكك.

واعلم أن لهذا الدين ورثةٌ عُدول، فضّلهم الله بعلمه، وسخّر لهم من فَضلِه، وجَعَلَهُم غُصةً في حُلُوقِ أعدائهِ، «ينفونَ عن هذا الدين، تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين»[2]؛ فالعلمُ تراكُمي فكُلما امتدَّ الزمانُ بالمرءِ ازدادَ علماً وبصيرة.

أخيراً، عليك-أخي طالبَ العلم- أن تُقرَّ بالفضل للعلماء، وأن ترعى حرمتهم، وتعرفَ لهم مراتبهم، فمن كان في بلده عالمٌ كبيرٌ أقرّ له القاصي والداني برسوخِ قدمهِ ونفاذِ بصيرتهِ، يجب عليك أن تُديمَ مجالستهِ والأخذ عنهُ، أما أن تزهدَ فيه وتَذهبَ للّذي دونهُ في العلم من طلبةٍ أغرار، فهذا ما لا يرتضيهِ ذو العقلِ السليم، ولا يقبلهُ ذو الفطرةِ النيّرة.

قال الله -تعالى-: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [النساء:٨٣].

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه البخاري، «الفتح» - برقم (٦٨٣٠).

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» (١/ ١٥٢)، و رواه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٨) بسندٍ حسن لغيره

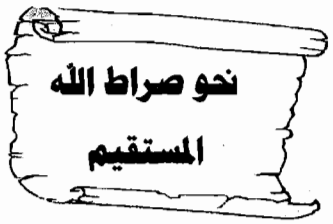

❖ الحلقة الأولى

رسالة إلى أهل الدِّين الصحيح

● بقلم: الشيخ أبي عبد الله فتحي بن عبد الله الموصلي

يتعيَّن على العبد الموفَّق للحقِّ بدلالة الكتاب والسنة، وطريقة سلف الأمة أن يشتغل بإتمام العلم والعمل، ولزوم موجبهما من الشكر لله -تعالى- والدعوة إلى سبيله ، والقيام بأمر الدين -حراسةً وجهاداً- فيحفظ بذلك نِعماً موجودة ، ويسترجع نعماً مفقودة، ويدفع عن نفسه وإخوانه نواقض الهداية وقوادحها من المقاصد السيئة والأهواء السقيمة.

ومن أخصِّ ذلك وأنفعه: أن يتعاهد هذا العبد دعوة التوحيد -علماً وعملاً ودعوةً- وأن يعقد الحبَّ والبغض عليها وعلى أهلها وجوداً وعدماً، وأن يحفظ -في نفسه وأمته- آثار النبوة ومعالمها؛ فإنه إذا تذكَّر مقاصد الرسالة، وأصلح باطنه وظاهره بالطاعات، ولازم ثغر السنة؛ فقد حقَّق عبودية الذكر، وانتهى إلى منزلة الشكر، كما قال -تعالى-: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢].

وقد قيل: إذا صحَّتِ العقائد وصلحتِ النيات ، ظهرتِ الآثار في العزائم والإرادات .

ولعل أشد ما يعكر صفاء أهل الدين الصحيح في سيرهم إلى ربهم -عقيدةً ومنهجاً ودعوةً- أن يطوف بينهم طائف الخلاف في ساعة غفلة، فيبغي بعضهم على بعض، وينتقص بعضهم من بعض

في عصر ظهور البدعة، وخفاء آثار النبوة، وغياب العلماء الأعلام .

وفي هذا الموضع الدقيق يتجلى العلم والعدل، ويتجلَّى الصبر والإخلاص ، ويبرز دور الفهم المستقيم والقصد السليم في دفع عوارض الفتن، والحرص على أهل الدين الصحيح في دائرة حراسة السنة وقمع دابر البدعة، وفي نطاق طلب الهدى ومجانبة الهوى في الأقوال والأعمال والأحكام، فما كان اختلافاً في باب بيان الحقِّ ونصرته وتأصيله ، والذبِّ عنه؛ فإنه ممدوح مطلوب .

أما ما كان من جنس البغي، والحسد ، واتباع الهوى، والظن والعمل بالمشتبه من القول؛ فإنه مذموم مردود على صاحبه ، وهذا هو الذي يخشى على أهل الدين الصحيح منه أن يقع الخلاف بعد العلم، ويحصل النزاع بعد الحقِّ كما قال -تعالى-: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقد قال العلاَّمة الربانيُّ عبدُالرحمن بنُ ناصر السعدي -رحمه الله- كلمة تكتب بماء الذهب في تفسيره لقوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس:٩٣].

قال في «تفسيره» (٣/ ٣٨٦- ٣٨٧):

« ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في الحقِّ ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ الموجب لاجتماعهم وائتلافهم، ولكن بغى بعضهم على بعض، وصار لكثير منهم أهوية وأغراض تخالف الحقَّ، فحصل بينهم من الاختلاف شئ كثير .

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بحكمه العدل الناشئ عن علمه التام وقدرته الشاملة.

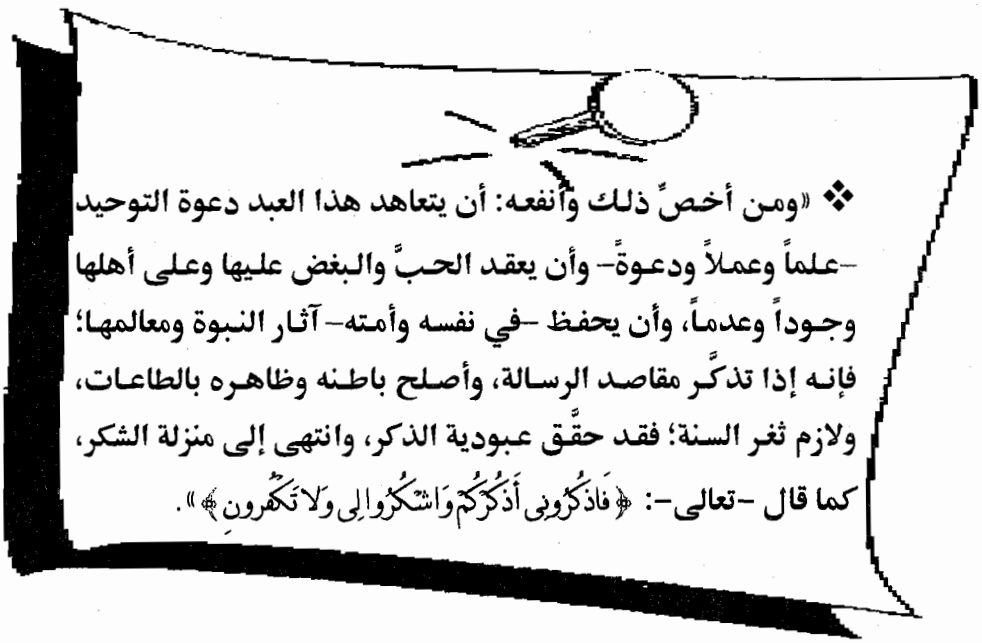

❖ «ومن أخصِّ ذلك وأنفعه: أن يتعاهد هذا العبد دعوة التوحيد -علماً وعملاً ودعوةً- وأن يعقد الحبَّ والبغض عليها وعلى أهلها وجوداً وعدماً، وأن يحفظ -في نفسه وأمته- آثار النبوة ومعالمها؛ فإنه إذا تذكَّر مقاصد الرسالة، وأصلح باطنه وظاهره بالطاعات، ولازم ثغر السنة؛ فقد حقَّق عبودية الذكر، وانتهى إلى منزلة الشكر، كما قال -تعالى-: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾».

وهذا هو الداء، الذي يَعْرِضُ لأهل الدين الصحيح، وهو أن الشيطان إذا أعجزه أن يطيعوه في ترك الدين بالكلية، سعى في التَّحريش بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء، فحصل من الاختلاف ما هو موجب ذلك، ثم حصل من تضليل بعضهم لبعض، وعداوة بعضهم لبعض، ما هو قرة عين اللعين، وإلا فإذا كان ربهم واحداً، ورسولهم واحداً، ودينهم واحداً، (ومنهجهم واحداً)، ومصالحهم العامة متفقةً، فلأيِّ شيء يختلفون اختلافاً يفرِّق شملهم، ويشتِّت أمرهم، وَيَحُلُّ رابطتهم ونظامهم ، فيفوت من مصالحهم الدِّينية والدنيوية ما يفوت، ويموت من دينهم بسبب ذلك ما يموت».ا.هـ

نعم ، لقد شغلتهم أنفسهم وأغراضهم وآراؤهم، وحزبيَّتهم عنِ النظر في مصالحهم الدينية والدنيوية حتى بغى بعضهم على بعض، وصار لكثير

منهم أغراض وإرادات تخالف الحقَّ، فحصل بينهم من الاختلاف شئ كثير ومات من منهجهم السلفي -في أنفسهم- بسبب ذلك ما مات .

ولو نظر كلُّ داعٍ إلى الله -تعالى- بعين البصيرة والإنصاف إلى نفسه وواقعه لرأى فرقاً شاسعاً، وتمايزاً واضحاً بين التزامه يومَ أن كان مُحبّاً للتوحيد وأهله ، ومُجِلاً للعلم وطلابه، همته مصروفة إلى تحصيل الإيمان والعلم، مستشعراً غُربة أهل الإسلام، عاملاً بالمنهج الحقِّ لا يعرف سواه، ولا يصاحب غيره، وبين آخر أمره أو منتهاه حيث الجمود والعبث بالدعوة وأعلامها، حتى باتت -عند البعض- المشاريع العلمية الدعوية السلفية حُلُماً في دائرة الخيال لا ينطلق إليها إلا إلى سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، أو إلى تقوُّلٍ، أو حظِ نفسٍ، أو نيلٍ من العلماء، أو الشغب في مجالس العلم، أو بغي التلاميذ بعضهم على بعض، أو سوء ظنٍّ، أو القيل والقال، أو التباغض والحسد، بل اعتبر البعض هذه الأمور محْمدةً يتمادح بها، وطريقةً يتنافس على سلوكها، بل ربَّما توَّهم أنها من باب حفظ مقاصد النبوة وحراستها.

إنه فراغ علمي دعْوي إيماني تقهقرت على أعتابه الثوابت ، وتُنوسِيت عنده المواعظ، وأُرهِق كاهل الأمة إلى حدِّ عموم البلوى وغلبة الفوضى، بل ربما سعت بعض الاتجاهات -التي تجيد استغلال الفتن والأزمات- إلى شغله بالطروحات الفارغة والحزبيات المقيتة والتصرُّفات الطائشة و الآراء الضالة ..

لذلك صار الكلام في أسباب حفظ الدين -علماً وعملاً- على أهل الفرقة الناجية المنصورة، ومعالجة الداء العضال الذي يَعرِض لأهل الدين الصحيح مهماً في بابه، لإنقاذ ما أمكن إنقاذه.

فأهل الحقِّ مصلحتهم راجحة على كل المصالح مثلما أن دعوتهم

ظاهرة على كل الدعوات ، وأن الكمال في أنفسهم -بالإيمان والعلم- شرطٌ في حصوله لغيرهم .

ولأجل هذا أو ذاك يبرز دور علماء الأمة، وأهل الفهم من أهل السنة، في تحمُّل أعباء المسؤولية واستنهاض الهمم، واستذكار المطالب محذّرين من كلّ داع إلى الباطل يصدُّ عن الدين الصحيح واجتماع أهله عليه، ومذّكرين أنه لا سبيل إلى معرفة حقائق الأشياء إلا عن طريق العلم بالكتاب والسنة ، وفهم سلف الأمة ، ومعرِّفين بالحجج على مسائل العلم ومقاصده وأموره الكبار حتى يترقّى الإيمان في قلوب أهله، ويترسَّخ العلم في عقول مريديه.

نعم؛ إنها صولة الربانيين العاملين بمنهج السلف في تحرِّي الحقِّ ورحمة الخلق، وفي هذا المقام يتعيَّن على الفضلاء من أهل العلم أمور:

أولها: يتعيَّن عليهم أن يحفظوا على الأمة الكتاب والسنة صورةً ومعنىً: فإن وجوبَ ذلك عليهم أعظمُ من وجوبه على غيرهم، كما قال شيخ الإسلام ابنُ تيميَّة -رحمه الله- في «المجموع» (٢٨/ ١٨٧): «فالمرصدون للعلم عليهم للأمة حفظ علم الدين، وتبليغه، فإذا لم يبلِّغوا علم الدين أو ضيَّعوا حفظه كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين، ولهذا قال -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩]؛ فإن ضرر كتمانهم تعدَّى إلى البهائم وغيرها؛ فلعنهم اللاعنون، حتى البهائم».ا.هـ

الثاني: التّناصح فيما بينهم والسعي في جمع كلمتهم ، كما قال العلاَّمة السعدي -رحمه الله- في «نور البصائر والألباب» (ص٦٩): «ومن أهم ما يتعيَّن على أهل العلم السّعيُ في جمع

كلمتهم، وتأليف القلوب؛ لأن هذا من أوجب الواجبات، وخصوصاً على أهل العلم الذين بهم الأسوة، وبهم يحصل خير كثير ويندفع شر كبير، والحذر من الحسد لأحد من أهل العلم» .ا.هـ

الأمر الثالث: يتعيَّن عليهم القيام على المتعلمين والتلاميذ بالتربية الإيمانية، والسنة العملية، والأدوية القرآنية، تذكيراً للناسي، وتعليماً للجاهل، وإيقاظاً للخامل، وتحريكاً للجامد، وترهيباً للباغي والمشاغب؛ لاسيما وقد حلَّت بدارنا ظاهرتان خطيرتان محسوستان:

الأولى: العزوف عن العلم الشرعي بأصوله وأدلته ومسائله.

والثانية: وهن التقوى في القلب، وانتقاص الإيمان من الصدور -إلا ما رحم الله-.

وبين الظاهرتين تلازم واضح لا ينهض بمعرفتِهِ، والوقوفِ على أسبابه، وطرائقِ علاجه ومعالجتِه إلا النخبةُ الخيرة من أهل العلم الذين ربَّوا الناس على صغار العلم وكباره، والذين شهدت لهم مجالس العلم وحِلَقِه بالحفظ والبحث والتحرير والتحقيق، والذين أقاموا قاعدة الإصلاح على الطريقة القرآنية السنية السلفية، والذين عُرفوا في موارد النزاع حين صال أهل الباطل على السنة وأعلامها بحجج فاسدة وشبه كاسدة، والذين كانوا وقَّافين عند الحقِّ -ظاهراً وباطناً- والذين أرادوا الله واليوم الآخر.

أما ما يتعيَّن على المتعلِّمين والتلاميذ من أهل الدين الصحيح في موارد النزاع فهذا يتبع في الحلقة الثانية إن شاء الله -تعالى-.

وللبحث بقية . . .

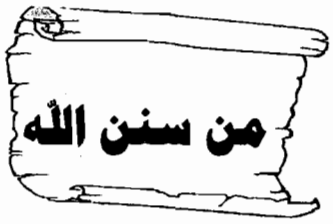

عواقب الهلع والإقدام عند انحراف العقيدة والأنفس

● بقلم: الشيخ أبي عبدالرحمن هشام العارف المقدسي

قال الله -تعالى- في سورة البقرة:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [من الآية ٢٤٣-٢٤٦]

الفائدة (١): قوله تعالى ﴿ألم تر﴾!؟ في القصة الأولى التعجيب والتشويق لمعاينة عواقب الهلع عند انحراف الأنفس. «عوملوا بنقيض قصدهم وجاءهم الموت سريعاً».

أحيل النبي ﷺ إلى استنطاق أحوال أهل الكتابين بني إسرائيل، بما يكشفه الله -سبحانه وتعالى- له من أمرهم عياناً، وبما يُنزله من خبرهم بياناً، فكانت وقائعهم مثلاً لوقائع هذه الأمة؛ لتستفيد من تجربة بني إسرائيل، وهذا من رحمة الله -تعالى- بأمة محمد ﷺ أنه جعل لها سوابق في بني إسرائيل لتحذر الوقوع في النكبات والمهلكات.

فهذه الأقاصيص ليس المراد منها حديثاً عن الماضين، وإنما كما قال الحرالي ـ هو

إعلام بما يستقبله الآتون، (إياك أعني واسمعي يا جاره!)، فلذلك لا يسمع القرآن من لم يأخذه بجملته خطاباً لهذه الأمة بكل ما قص له من أقاصيص الأولين.

وكان من جامعة معنى ذلك ما تقدم في (سورة البقرة) من قوله -تعالى-: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آية: ٢١١]

فقول الله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ.. ﴾ قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

«وفي هذه القصّة عبرةٌ ودليلٌ على أنه لن يغني حذر من قدر، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه، فإن هؤلاء خرجوا فراراً من الوباء، أو الجهاد طلباً لطول الحياة، فعوملوا بنقيض قصدهم وجاءهم الموت سريعاً في آن واحد».

وقال الحرالي فيما نقله البقاعي في «نظم الدّرر»: «فيه إشعار بأن تخوفهم لم يكن من نقص عدد، وإنما كان من جزع أنفس، فأعلم سبحانه -وتعالى- أن الحذر لا ينجي من القدر». اهـ

﴿..فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾.

قال الشيخ السَّعدي ـ رحمه الله ـ: «وفي هذه القصة عبرة بأن الله -تعالى- على كلِّ شيءٍ قديرٌ، فإن هذه القصة معروفة منقولة نقلاً متواتراً عند بني إسرائيل ومن اتصل بهم، ولهذا أتى بها -تعالى- بأسلوب الأمر الذي تقرر عند المخاطبين». اهـ

الفائدة (٢): من جملة الآيات التي يحق الإقبال عليها لعلو معناها قوله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾!؟ فأشرف المعاني ما قيل فيه ﴿أَلَمْ تَرَ﴾!؟

كان من القصص العلى، العلم اللطيف الاعتبار، ما تضمنته هذه الآيات من قوله: (أَلَمْ تَرَ)!؟ إقبالاً على النبي ﷺ؛ ليكون ذلك عبرة لهذه الأمة، وعلى الفطين المتعقل المتبع لقول الله -تعالى-، وقول نبيه ﷺ أن يمعن النظر، ويستدرك العبر، وله من سيرة السلف خير الأثر، للتوصل إلى فهم هذه الآيات كما بيَّن الله -عز وجل-، وأمر في وقت يشهد العالم الإسلامي فيه زخماً من الفتن المتعاقبة؛ فيكون بإذنه -تعالى- في مأمن من الخطر.

قال الفخر الرازي: «اعلم أن عادته -تعالى- في القرآن أن يذكر بعد بيان الأحكام؛

القصص ليفيد الاعتبار للسامع، ويحمله ذلك الاعتبار على ترك التمرد والعناد». اهـ

«والاستفهام هنا للتقرير، والكلام جارٍ مجرى المثل في مقام التَّعجيب، والتشويق إلى سماع قصتهم.

والنبي ﷺ لم يرَ أحداث القصة، ولم يعاينها، لكن التعبير القرآني اختار كلمة ﴿ألم ترَ﴾؛ لأن العلم الذي يقوله الله -تعالى- لرسوله ﷺ ويخبر به نبيه من قِبَله -وإن كان غيباً- فهو بمنزلة الخبر المشاهد، ويجب أن يكون إخبار الله -تعالى- أقوى وسائل العلم -وهو الرؤية العينية- إذ هي من قبيل التّجربة الشخصية ﴿.. وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾؟».[1] [النساء:٨٧]

الفائدة (٣): بيان فضل الله -تعالى- على الناس.

قال الطبري في «الجامع»: «إن الله لذو فضل، ومنٍّ على خلقه بتبصيره إياهم سبيل الهدى، وتحذيره لهم طرق الردى، وغير ذلك من نعمه التي ينعمها عليهم في دنياهم ودينهم، وأنفسهم وأموالهم، كما أحيا الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حَذَرَ الموت، بعد إماتته إياهم، وجعلهم لخلقه مثلاً وعظة يتعظون بهم، وعبرة يعتبرون بهم، وليعلموا أن الأمور كلها بيده، فيستسلمون لقضائه، ويصرفون الرغبة كلها والرهبة إليه».

الفائدة (٤): من شكر الله -تعالى- اتباع النبي ﷺ.

لكن أكثر الناس لا يشكرون، فلا يشكرون نعمة الله التي أنعمها عليهم، وفي الآية التعريض ببني إسرائيل في أنهم لم يشكروه -سبحانه وتعالى- في الوفاء بمعاهدته لهم باتباع هذا النبي الكريم عليه -أفضل الصلاة والسلام-.

الفائدة (٥): الحث على القتال في سبيل الله -تعالى-.

وجاء الله -تعالى- بهذه القصة ليحث على الجهاد في سبيله مصوراً للمعتبر أن الهلع من الموت والفرار منه لا ينجي من قدره، فكذلك الجهاد في سبيله فقال:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

والفرار من الجهاد وتجنبه لا يقرب أجلاً، ولا يبعده، بل الأجل المحتوم

---

[1] «صفاء الكلمة» – د. عبد الفتاح لاشين.

والرزق المقسوم مقدر مقنن لا يزاد فيه ولا ينقص.

قال الحرالي ـ بشيء من التصرف ـ : «ودل سبحانه -وتعالى- على أن موتهم كان كنفس واحدة بأن جعلهم كالمأمور الذي لم يمكنه التخلف عن الامتثال بقوله: (مُوتُوا) فماتوا أجمعون موت نفس واحدة، لم ينفعهم حذرهم، ولا صَدَّ القدر عنهم علمهم بالأمور وبصرهم إعلاماً بأن من هاب القتال حذر الموت، لم يغنه حذره مع ما جناه من إغضاب ربه، ومن أقدم عليه لم يضره إقدامه مع ما فاز به من مرضاة مولاه».ا.هـ

لذا قال في (سورة آل عمران) التالية لـ (سورة البقرة):

﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. [آية: ١٦٨]

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»: «المقصود من هذه الآية الكريمة تشجيع المؤمنين على القتال بإعلامهم بأن الفرار من الموت لا ينجي، فإذا علم الإنسان أن فراره من الموت أو القتل لا ينجيه، هانت عليه مبارزة الأقران، والتقدم في الميدان، وقد أشار -تعالى- أن هذا هو مراده بالآية حيث أتبعها بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية، وصرح بما أشار إليه هنا في قوله في [سورة الأحزاب: ١٦]: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾. وهذه أعظم آية في التشجيع على القتال؛ لأنها تبين أن الفرار من القتل لا ينجي منه، ولو فرض نجاته منه فهو ميت عن قريب.

وقال في (سورة النساء:٧٧) التالية (لآل عمران):

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾.

الفائدة (٦): الحث على الإنفاق في سبيل الله -تعالى-.

قال البقاعي: «ولما كانت النفقة التي هي من أعظم مقاصد السورة أوثق دعائم الجهاد وأقوى مصدق للإيمان ومحقق لمبايعة الملك الديان كرر الحث عليها على وجه أبلغ؛ تشويقاً مما مضى، فقال على

هيئة الممتحن للصادق ممن أمره وحذره وأنذره:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

وشبه -سبحانه وتعالى- العمل به لما يرجى عليه من الثواب، فهو كالقرض الذي هو بذل المال للرجوع إليه بمثله، وعبر به لدلالته على المحبة لأنه لا يقرضك إلا محب، ولأن أجره أكثر من أجر الصدقة.

ووصف الله -سبحانه وتعالى- القرض الذي حرض عليه بالحسن؛ لتكون المعاملة على وجه الإحسان الذي هو روح الدين وهو أن يعامل الله به كأنه يراه».اهـ

وإذا علم الإنسان أن القبض والبسط بالله انقطع نظره عن مال الدنيا، وبقي اعتماده واتكاله على الله -تعالى-، فحينئذ يسهل عليه إنفاق المال في سبيل مرضاة الله -تعالى-.

الفائدة (٧): حث الله -تعالى- على الإخلاص بأن يقاتل العبد لتكون كلمة الله هي العليا.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾:

المجاهد المخلص الذي يعرف الله -تعالى- يعلم أنه سميع للأقوال وإن خفيت، ويعرف أن الله -تعالى- عليم بما تحتويه القلوب من النيات الصالحة وضدها. فإذا علم المجاهد في سبيله أن الله سميع عليم هان عليه ذلك، ففي قوله -تعالى-: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: بعث على صدق النية والإخلاص كما في الصحيحين، وعند الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ـ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً ، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً ، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

الفائدة (٨): قوله -تعالى- ﴿ألم تر﴾!؟ في القصة الثانية التعجيب والتشويق لمعاينة عواقب الإقدام عند انحراف الأنفس. «فبادروا إلى الإدبار بعد شدة الإقبال».

وفي القصة الثانية قوله -تعالى-:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا

أَلا تُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

قال الحرالي: «أراه في الأولى ـ يعني في القصة الأولى ـ حال أهل الحذر من الموت بما في الأنفس من الهلع الذي حذرت منه هذه الأمة، ثم أراه في هذه ـ يعني في القصة الثانية ـ مقابل ذلك من الترامي إلى طلب الحرب وهما طرفا انحراف الأنفس».

وفي الحديث كما سيأتي بيانه: «لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ».

قال ابن بطال في نقله الحافظ في «الفتح»: «حكمة النهي أن المرء لا يعلم ما يؤول إليه الأمر، وهو نظير سؤال العافية من الفتن. وقال ابن دقيق العيد : لما كان لقاء الموت من أشق الأشياء على النفس وكانت الأمور الغائبة ليست كالأمور المحققة لم يؤمن أن يكون عند الوقوع كما ينبغي فيكره التمني لذلك ولما فيه لو وقع من احتمال أن يخالف الإنسان ما وعد من نفسه، ثم أمر بالصبر عند وقوع الحقيقة» .اهـ

و﴿الْمَلإِ﴾: الأشراف من الناس، وهو اسم الجماعة، كالقوم والرهط، وجمعه أملاء، وأصلها من الملء، وهم الذين يملؤون العيون هيبة ورواء، وقيل هم الذين يملأون المكان إذا حضروا، وقال الزجّاج: سمّوا بذلك لأنهم مليئون بما يحتاج إليه منهم.

وقال ابن منظور: «والملأ: الرؤساء، سمّوا بذلك لأنهم مِلاء بما يحتاج إليه. وقيل: أشراف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم. قال أبو عبيد: يقال للقوم إذا تتابعوا برأيهم على أمر: قد تمالئوا عليه».

وفيما قاله الله -تعالى- عن قوم نوح عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾؛ أي: قال كبراء قومه ورؤساؤهم وذوو الوجاهة الذين يملئون العيون. وقال الله -تعالى-: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٩] .. وقال الله -تعالى- في سورة النمل: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [آية: ٣٨]. وقال في (سورة القصص): ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[آية:٢٠]. وغيرُ ذلك من الآيات.

﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: الذين كانوا ممن تقرر لهم الدين، واتضحت لهم المعجزات، واشتهرت عندهم الأمور الزاكيات، فأراد الله عز وجل عرض هذه التجربة، قوية المثال، لتعتبر أمة محمد ﷺ وتستفيد بوصفها وارثة التجارب لما وقع لبني إسرائيل.

وهذه التجربة وقعت لبني إسرائيل ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ بدهر طويل، قال الحرالي فيما نقله البقاعي في «نظم الدّرر» (٣/ ٤٠٨): «لأن نبيهم المعهود الآمر لهم إنما هو موسى ﷺ، ومن بعده إلى عيسى -عليهم الصلاة والسلام- إنما هم أنبياء بمنزلة الساسة والقادة لهم، كالعلماء في هذه الأمة، منفذون وعالمون بما أنزل على موسى ﷺ، كذلك كانوا إلى حين تنزيل الإنجيل، فكما قصَّ في صدر السورة حالهم مع موسى ﷺ، قصَّ في خواتيمها حالهم من بعد موسى لتعتبر هذه الأمة من ذلك حالها مع نبيها محمد ﷺ وبعده».ا.هـ

وذكر الله -تعالى- موسى ﷺ لأنه أتاهم -كما قال البقاعي-: من الآيات بما طبق الأرض كثرة، وملأ الصدور عظمة، وأبقى فيهم كتاباً عجباً ما بعد القرآن من الكتب السماوية مثله.

﴿إِذْ قَالُوا﴾: إذ، منصوب بمضمر يستدعيه المقام أي: ألم تر إلى قصة الملأ أو حديثهم حين قالوا. قال الحرالي: وفيه إيذان بأن الأمة تختل بعد نبيها بما يصحبها من نوره زمن وجوده معهم. واستشهد بقول أنس بن مالك -رضي الله عنه - واللفظ هنا للترمذي-: قَالَ لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ وَلَمَّا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الأَيْدِي وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا[1] قُلُوبَنَا.[2]

﴿لِنَبِيٍّ لَهُمْ﴾: قيل هو يوشع بن نون ـ فتى موسى عليه السلام ـ، وهذا القول ضعيف، لأن هذا كان بعد موسى بدهر طويل، وكان ذلك في زمان داود ﷺ كما هو مصرح به في تفاصيل القصة، ولأن مدة داود هي بعد مدة موسى بقرون من الناس.

---

[1] يعني: لم نجدها على ما كانت عليه.

[2] أخرجه الترمذي في المناقب (٣٦٢٢)، وقال: حديث غريب صحيح، وابن ماجه (١٦٢١)، وابن حبان (٢١٦٢)، والحاكم (٣/ ٥٧): وقال: «على شرط مسلم» ووافقه الذهبي، وهو في «مسند أحمد» (٢٨٦٤ و ١٢٨٣٤ و ١٣٣٢٨)، وانظر «مختصر الشمائل للألباني» – رحمه الله – (٣٢٩).

ونكّره لعدم مقتضى لتعريفه، ولأنه ليس المقصود بالقصة، فالمهم الاعتبار بالحدث، فالاعتبار بقصة الحدث أهم من ذكر اسم النبي، بل لعل من أهمية ذلك المحافظة على استمرارية التشويق ولفت الانتباه إلى الحدث والحث على الاستفادة من التجربة.. لا سيما وقد كان لبني إسرائيل كثرة من الأنبياء يتتابعون في تاريخهم الطويل.

﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: قال الحرالي: في إعلامه -يعني النبي- أخذهم الأمر بمنّة الأنفس، حيث لم يظهر في قولهم إسناد إلى الله -سبحانه وتعالى-، الذي لا تصح الأعمال إلا بإسنادها إليه، فما كان بناء على تقوى تم، وما كان على دعوى نفس انهد.

قلت: فعدم إسنادهم التخلص من المآزق لله، يدل على انحراف في العقيدة والأنفس، بل لعلهم أسوأ حالاً من أسلافهم، ويدل على ذلك أن أسلافهم الذين نقل الله -تعالى- مقالتهم في (سورة البقرة) ومنها: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ [آية: ٦١] أسندوا الأمر إلى الله -تعالى-، بينما هنا الواقع يشير إلى خلل أشد . ومن نتائجه:

أولاً: أنهم كانوا لا يرجعون إلى نبيهم في سياساتهم الباقية.

ثانياً: وجود فجوة عميقة بين ادعائهم الجهاد في سبيل الله، وصحة تمسكهم بالعقيدة الصحيحة.. فهل القضية إيجاد ملك يقاتلون تحت إمرته في سبيل الله؟!! ـ على حد زعمهم ـ وبين أظهرهم نبي من أنبياء الله!!.

﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: قال القاسمي: «وذلك حين ظهرت العمالقة، قوم جالوت على كثير من أرضهم».

﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا﴾: وقد أراد نبيهم أن يستوثق من صدق عزيمتهم، وثبات نيتهم، وتصميمهم على النهوض بالتبعة الثقيلة، وجدّهم فيما يعرضون عليه من الأمر ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا﴾! قال الزمخشري -صاحب «الكشاف»-: خبر ﴿عسيتم﴾ ألا تقاتلوا، والشرط فاصل بينهما، والمعنى: هل قاربتم ألا تقاتلوا، يعني: هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون؟ أراد أن يقول: عسيتم ألا تقاتلوا، بمعنى أتوقع جبنكم

عن القتال، فأدخل (هل) مستفهما عما هو متوقع عنده من الظنون، وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه؛ كقوله -تعالى-: ﴿هل أتى على الإنسان .. ﴾ معناه التقرير.

قال الحرالي: «فأنبأهم بما آل إليه أمرهم فلم يفلتوا عنه وحاجوه وردوا عليه بمثل سابقة قولهم، ففي إشعاره إنباء بما كانوا عليه من غلظ الطباع وعدم سرعة التنبه».ا.هـ

ولما كان مضمون هذا الاستفهام: إني أخشى عليكم القعود أعلمنا الله عن جوابهم بقوله: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾:

﴿قَالُوا﴾: استئناف، ﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: أي سبب لنا في أن لا نقاتل في سبيل الله، ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾: والحال أنه قد عرض لنا ما يوجب القتال إيجاباً قوياً من الإخراج عن الديار والأوطان والاغتراب من الأهل والأولاد.

وإفراد الأبناء بالذكر لمزيد تقوية أسباب القتال، وذلك أن جالوت ومن معه ظهروا على بني إسرائيل وأخذوا ديارهم وسبوا أولادهم.

قال ابن عطيه: وقالوا هذه المقالة وإن كان القائل لم يخرج من حيث أخرج من هو مثله وفي حكمه.

قلت: وفي جوابهم وضح الخلل والانحراف في المعتقد والأنفس، والجهل بمعنى إعلاء كلمة الله، ولو كان ادعائهم القتال في سبيل الله حقيقة لما أسندوا للقتال في سبيل الله الخروج من الديار، ولما زادوا عليه إشعاراً بخصوصية أخرى ﴿وأبنائنا﴾.

قال البقاعي: فخلطوا بذلك ما لله بما لغيره، وهو أغنى الشركاء لا يقبل إلا خالصاً.

وقال الحرالي: «فأنبأ -سبحانه وتعالى- أنهم أسندوا ذلك إلى غضب الأنفس على الإخراج، وإنما يقاتل في سبيل الله من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا». اهـ.

ولما كان الخلل واضحاً في معتقدهم بالله -عز وجل- نكصوا.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾: قال البقاعي: «فبادروا الإدبار بعد شدة ذلك الإقبال. وقال الألوسي: (تَوَلَّوْا) لا في ابتداء الأمر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجيء ـ يعني في تفاصيل القصة ـ وإنما ذكر

هنا مآل أمرهم إجمالاً إظهاراً لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين».

قال ابن عطية: وهذا شأن الأمم المتنعمة المائلة إلى الدعة، تتمنى الحرب أوقات الأنفة، فإذا حضرت الحرب كعت وانقادت لطبعها، وعن هذا المعنى نهى النبي ﷺ ففي «الصحيحين»، و«سنن أبي داود»، و«مسند أحمد»: عن سالم أبي النضر مولى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ -وَكَانَ كَاتِبًا لَهُ- قَالَ كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى -رَضِيَ اللَّهم عَنْهمَا- فَقَرَأْتُهُ:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ؛ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ».

﴿إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ﴾:وهم الذين جاوزوا النهر.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد عصياناً لأمره -تعالى-.

*** العلماء ورثة الأنبياء:**

وقال -تعالى- في (سورة البقرة):

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنْ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. [آية: ٢٤٧]

﴿وَقَالَ لَهُمْ.. ﴾

☐ من هنا إلى نهاية القصة إشارات هامة، وتوجيهات مفيدة، من أجل معرفة أهمية وأثر:

* طلب العلم النافع:

(قال الله -تعالى-، وقال رسول الله ﷺ، وما فهمه السَّلَف رضوان الله عليهم من قوليهما).

* الرجوع إلى العلماء باعتبارهم ورثة الأنبياء.

* اعتقاد ومنهج الفرقة الناجية -الطائفة المنصورة -.

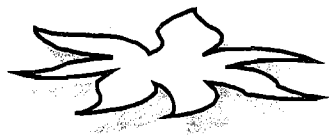

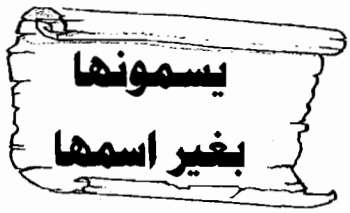

يسمونها بغير اسمها

الجهـــــاد الـــــــوهمي!

• بقلم: الشيخ سعد الحصين

بقيت آثار المسلمين (لا الإسلام) المعمارية شاهداً على حكمهم «الأندلس» مئات السنين، ولم يبق أثر لأهمِّ ما حمَّلهم الله إياه وميَّزهم به: دينه الحقِّ؛ ولقد حرص ملوك إسبانيا على محو كل ما له صلة بالإسلام، ولم يروا بأساً ببقاء الآثار المادية الدنيوية التي اشترك في إيجادها والإعجاب بها والرغبة في بقائها المسلم والكافر؛ إذ أدرك أعداء الإسلام ألاّ صلة لهذه الآثار بالوحي ولا بالفقه فيه، وإن لم يدرك ذلك أكثر متأخري المسلمين فوصفوها بالإسلامية بعد أن فقدوا القدرة على التمييز بين وحي الله وفكر البشر، وبين الدين والدنيا، وبين العبادة والعادة، وبين المسلمين والإسلام، وكما أن الله -تعالى- لم يعلم رسوله -صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته- الشعرَ ولم يبغه له؛ فلم يحتضن شرع الله للإسلام شيئاً من الفنون الأخرى، وما ينبغي أن تُفترى عليه وأبرز مظاهر ما وُصفت بالعمارة الإسلامية افتراءً على الإسلام (مثلَ: الأقواسِ، والقباتِ، والنقوشِ، وتيجان الأعمدةِ، واستدارة المحاريب، وهرميةِ المآذنِ، والرمز بالأهلَّة) مأخوذٌ من العمارة الكنيسية (وبخاصة البيزنطية) أو الوثنية، ومبني بأيد المهرة

من بلاد الشام وإسبانيا النصرانية (بعد أن حكمها المسلمون) سواء منهم من أسلم أو بقي على دين آبائه وأجداده، أو المهرة من الهندوس وفارس وبعد قرن من سقوط «غرناطة» كتب سرفانير هزلية «دون كهيوتي ... لامنشا» عن قروي نبيل أفرط في قراءة الروايات الخيالية عن البطولة والشهامة حتى تغلب الخبل على الحقيقة في عقله؛ فندب نفسه لتحقيق العدل الوهمي ومحاربة الظلم الوهمي، وخرج على دابته الهزيلة مهاجماً مطاحن الهواء (الجبابرة) وقطعات الماشية (جيوش الأعداء) ومنازل المسافرين على الطريق (حصونهم) وفي كل معركة خاضها يرجع بالخيبة والخسارة، وبقيت الأهداف الوهمية غيرَ منقوصة، وكأنه كان يرسم الطريق لمجاهدين يأتون بعده زادهم الخيال، وإن فاقوه سفهاً بنسبة جرائمهم للإسلام ولعل «إسبانيا» وقد أخذت من المسلمين أسوأ إنتاجهم: (مظاهر الإسراف والترف) قد كافأتهم بأسوإ مثلٍ أنتجته للخيال، والبعدِ عن الحقيقةِ والواقع: (عدوى الدون كيهوتيه).

ففي نهاية القرن الماضي من التاريخ الهجري أعلن مرشد أول ما وصف بالثورة أو الجمهورية الإسلامية: أن الشيطان الأكبر هو أمريكا ويلقى الحركيون (الموصوفون بالإسلاميِّين والمسيحيِّين، والشيوعيِّين، والقوميِّين) هذا الإعلان بالقَبول المطلق، وسارعوا لبذل أنفسهم وأموالهم أو أنفس وأموال غيرهم(!) (وافقوهم أو خالفوهم) في جهادٍ وهميٍّ باسم الدين أو القوميّة رغم اختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم ومعتقداتهم، وإنما تَجْمَعُهُم عاطفة هائجة تشغلهم بالشيطان في السياسة الفكرية عن الشيطان في الحقيقة الشرعية وللأرض والهوية عن الجهاد الشرعي: «لتكون كلمة الله هي العليا» [البخاري ومسلم].

قال الله -تعالى-: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧] وقال -تعالى-: ﴿وَإِذْ

قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [الكهف: ٥٠] وقال -تعالى-: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف:٣٦]، وقال -تعالى-: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ [يس:٦٠].

فالشيطان الحقيقي الأهمُّ والأول هو إبليس الذي أخرج أبوينا من الجنة، وهو من الجنِّ، وهو الذي قيَّضه الله قريناً لمن عَمِيَ عن وحيه والفقه فيه والعمل به، وهو الذي أمرنا الله بالحذر والاستعاذة منه، ونهانا عن عبادته بطاعته.

ولا يصح وصف الشيطان الحقيقي ولا الخيالي بأنه «الأكبر» فقد وصف الله الأول بقوله: ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٧٦]، وقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٩٩]، ونعلم أن الشيطان الخيالي قد عزَّ عن قهر عدوِّه الأقرب (كوبا)، وعدوه الأبعد (فيتنام) وكلاهما يقل عنه عدداً وعدة وتقنية، وعجز عن حماية حلفائه في إيران والفلبين وأمريكا الجنوبية وغيرها.

ولو صدق ظن الحركيِّين والفكريِّين وتحقَّقت خيالاتهم وأحلامهم عن خطر خارجي (أكثر من الداخلي) على المسلمين، لما أجاز لغير ولي الأمر المسلم إعلان الجهاد، ولما جاز الاعتداء على العدو وقد قال الله -تعالى-: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [المائدة: ٢] ولما جاز مع ملتهم بغير العدل وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [المائدة: ٨] وفرق (لا يدركون الحركيُّون والفكريُّون) بين الولاء والمعاملة فقد كان النبي ﷺ -وبارك عليه وآله وصحبه ومتبعي سنته- يحسن معاملة اليهودي والنصراني والمشرك في البيع

والشراء والزيارة والهدية والتعاون على الخير[1]، ولا يوالي إلا الله وملائكته والمؤمنين من عباده.

ولكن لماذا يزيد الاهتمام بالجهاد الخيالي -أو الحقيقي لو وجد- على ما هو أهمُّ منه من الدعوة إلى إفراد الله بالعبادة والتحذير من الشرك بالله في عبادته الذي يحتاجه المنتمون إلى الإسلام اليوم قبل غيرهم، فلا يُعرف لواحد من قادة الدعوة إلى الجهاد أيُّ اهتمام به رغم أنهم عاشوا أوثان المزارات، أو الأضرحة والمشاهد والمقامات، الخاصة بالمنتمين للإسلام أو المشركة بينهم وبين اليهود والنصارى وفرق الضلال المختلفة؟

فالجواب: أن دعوة التوحيد والسنة التي عاشها المسلمون الأوائل قبل أن يُحِلَّ الله -تعالى- لهم الجهاد الحقيقيَّ لغرض واحد: أن تكون كلمة الله هي العليا، لا تجدن الأكثرية الغوغائية كما تجنيها دعوة الحقد والحسد والفساد.

والله ولي التوفيق.

(١) ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لأحد المشركين -وقد طلب أن يساعده في الحرب -لا أستعين بمشرك- التحرير.

❖ الحلقة الثالثة

العمليات الفدائية: أهي انتحارية؟! أم استشهادية؟!

وتحقيق رأي شيخنا الإمام المحدث الألباني –رحمه الله– فيها . . .

• بقلم: الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

☐ نماذج من فتاوى علماء العصر الربانيين

ثامناً: هذه نماذج من فتاوى علماء العصر، يظهر من خلالها أن المنع لما يترتب على هذه الفتاوى من أضرار، فأطلق المانعون الحرمة لهذا الاعتبار، لا لحرمة العدو، أو إقراراً له على احتلاله واغتصابه، وقتله وبطشه! ويمكن أن نجعل هذه المحاذير بمثابة قيود للحل! فتضيق الهوة بين المختلفين، وتتقارب وجهات نظرهم، وينحصر[1] الخلاف بينهم!

☐ فتوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله تعالى–

للشيخ ابن عثيمين –رحمه اللّه– كلام في أكثر من مكان على هذه العمليات، المتأمل فيه يجد أن الشيخ يمنع العمليات القائمة في بلاد فلسطين وغيرها، تقديراً منه على أن الأضرار

(١) نعم؛ ينحصر، ولكن لا يتلاشى.

فيها غالبة على وجه ظاهر عنده، ومن أنعم النظر في كلامه يجد أن هذه العمليات -عنده- لها وجود بقيود في الشرع، فإدراجه ضمن المانعين لها بإطلاق ليس بصحيح[1].

قال في «شرح رياض الصالحين» (١/ ١٦٥-١٦٦) في شرح حديث قصة أصحاب الأخدود، محدِّداً الفوائد المستنبطة منه: «إن الإنسان يجوز أن يغرِّر بنفسه في مصلحة عامَّة للمسلمين؛ فإن هذا الغلام دلَّ الملك على أمر يقتله به ويهلك به نفسه، وهو أن يأخذ سهماً من كنانته... إلخ.

قال شيخ الإسلام: «لأنَّ هذا جهاد في سبيل اللّه، آمَنَت أمَّة وهو لم يفتقد شيئاً؛ لأنَّه مات، وسيموت آجلاً أو عاجلاً».

فأمَّا ما يفعله بعض الناس من الانتحار، بحيث يحمل آلات متفجرة ويتقدّم بها إلى الكفار، ثم يفجرها إذا كان بينهم؛ فإن هذا من قتل النفس والعياذ بالله، ومن قتل نفسه فهو خالد مخلَّد في نار جهنم أبدَ الآبدين، كما جاء في الحديث عن النبي -عليه الصلاة والسلام-[2]؛ لأن هذا قتل نفسه لا في مصلحة الإسلام؛ لأنه إذا قتل نفسه وقتل عشرة أو مئة أو مئتين، لم ينتفع الإسلام بذلك، فلم يُسلِم الناس، بخلاف قصة الغلام، وهذا ربما يتعنَّت العدو أكثر ويُوغر صدره هذا العمل، حتى يفتك بالمسلمين أشدّ فتك.

كما يوجد من صنع اليهود مع أهل فلسطين؛ فإن أهل فلسطين إذا مات الواحد منهم بهذه المتفجرات، وقتل

(١) كما فعل الدكتور محمد طعمة القضاة في «المغامرة بالنفس في القتال» «ص ٣٨» وغيره.

(٢) يريد: ما أخرجه البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩) ضمن حديث فيه: «ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده، يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً فيها أبداً».

ستة أو سبعة، أخذوا من جراء ذلك ستين نفراً أو أكثر، فلم يحصل في ذلك نفع للمسلمين، ولا انتفاع للذين فُجرت المتفجرات في صفوفهم.

ولهذا نرى أنَّ ما يفعله بعض الناس من هذا الانتحار، نرى أنه قتل للنفس بغير حقٍّ، وأنَّه مُوجِب لدخول النار -والعياذ باللّه-، وأن صاحبه ليس بشهيد، لكن إذا فعل الإنسان هذا متأولاً ظاناً أنه جائز، فإننا نرجو أن يَسلَم من الإثم، وأمَّا أن تكتب له الشهادة فلا؛ لأنه لم يسلك طريق الشهادة، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر» انتهى كلامه.

إذاً؛ الشيخ ابن عثيمين -رحمه اللّه- يرى أن النتائج المترتبة على هذه العمليات، هي التي تقرر مشروعيتها من عدمها، وأن في تقدير الشيخ أن ما يقوم به أهل فلسطين ممنوع؛ لما يترتب عليه من آثار سيئة في حقِّ سائر أفراد الشعب، وقد صرح بذلك في «اللقاء الشهري» (٢٠)، وهذا نص السؤال والجواب بالحرف:

«السؤال: فضيلة الشيخ! علمت -حفظك اللّه- ما حصل في يوم الأربعاء من حادث قُتل فيه أكثر من عشرين يهودياً على يد أحد المجاهدين، وجرح فيه نحو خمسين، وقد قام هذا المجاهد فلفّ على نفسه المتفجرات، ودخل في إحدى حافلاتهم ففجَّرها، وهو إنما فعل ذلك:

أولاً: لأنه يعلم أنه إن لم يقتل اليوم قُتل غداً؛ لأنّ اليهود يقتلون الشباب المسلم هناك بصورة منتظمة.

ثانياً: إن هؤلاء المجاهدين يفعلون ذلك انتقاماً من اليهود الذين قتلوا المصلين في المسجد الإبراهيمي[1].

ثالثاً: إنهم يعلمون أن اليهود يخطّطون هم والنصارى للقضاء على

(١) قام يهوديٌّ حاقد، اسمه «جولدشتاين» بقتل أكثر من خمسة وثلاثين مصلياً في المسجد الإبراهيمي بالخليل، أثناء أدائهم لصلاة الفجر من يوم الجمعة ١٥/ رمضان/ ١٤١٤هـ.

روح الجهاد الموجودة في فلسطين.

السائل: هل هذا الفعل منه يعتبر انتحاراً أو يعتبر جهاداً؟ وما نصيحتك في مثل هذه الحال؛ لأننا إذا علمنا أن هذا أمر محرّم لعلنا نبلغه إلى إخواننا هناك، وفقك اللّه؟

الجواب: هذا الشابُّ الذي وضع على نفسه اللباس الذي يقتل، أول من يقتل نفسه، فلا شك أنه هو الذي تسبب في قتل نفسه، ولا يجوز مثل هذه الحال إلا إذا كان في ذلك مصلحة كبيرة للإسلام، فلو كانت هناك مصلحة كبيرة ونفع عظيم للإسلام، كان ذلك جائزاً.

وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللّه- على ذلك، وضرب لهذا مثلاً بقصة الغلام، الغلام المؤمن الذي كان في أمة يحكمها رجل مشرك كافر، فأراد هذا الحاكم المشرك الكافر أن يقتل هذا الغلام المؤمن، فحاول عدَّة مرات، مرةً ألقاه من أعلى جبل، ومرةً ألقاه في البحر، ولكنه كلَّما حاول ذلك نجى اللّه ذلك الغلام، فتعجَّب هذا الملك الحاكم، فقال له الغلام يوماً من الأيام: أتريد أن تقتلني؟ قال: نعم، وما فعلت هذا إلا لقتلك، قال: اجمع الناس في صعيد واحد، ثم خذ سهماً من كنانتي، واجعله في القوس، ثم ارمني به، قل: بسم اللّه ربِّ الغلام. وكانوا إذا أرادوا أن يسمُّوا، قالوا: باسم الملك، لكن قال له: قل: بسم اللّه رب هذا الغلام.

فجمع الناس في صعيد واحد، ثم أخذ سهماً من كنانته، ووضعه في القوس، وقال: بسم رب هذا الغلام، وأطلق القوس، فضربه، فهلك، فصاح الناس كلهم: الربُّ ربُّ الغلام، والربُّ ربُّ الغلام، وأنكروا ربوبية هذا الحاكم المشرك؛ لأنهم قالوا هذا الرجل الحاكم فعل كل ما يمكن أن يهلك به هذا الغلام، ولم يستطع إهلاكه، ولما جاءت كلمة واحدة: بسم اللّه رب هذا الغلام، هلك، إذاً مدبر الكون؛ هو: اللّه، فآمن الناس.

يقول شيخ الإسلام: هذا حصل

فيه نفع كبير للإسلام.

وإن من المعلوم، أن الذي تسبب في قتل نفسه هو هذا الغلام لا شك، لكنه حصل بهلاك نفسه نفع كبير؛ آمنت أمة كاملة، فإذا حصل مثل هذا النفع، فللإنسان أن يفدي دينه بنفسه، أما مجرَّد قتل عشرة أو عشرين دون فائدة، ودون أن يتغير شيء ففيه نظر، بل هو حرام، فربما أخذ اليهود بثأر هؤلاء فقتلوا المئات، والحاصل أن مثل هذه الأمور تحتاج إلى فقه وتدبُّر، ونظر في العواقب، وترجيح أعلى المصلحتين ودفع أعظم المفسدتين، ثم بعد ذلك تقدّر كل حالة بقدرها»[1].

وسئل الشيخ -رحمه اللّه تعالى- بما يلتقي مع الجوابين السابقين، وفيه زيادة في حكم من فعل ذلك مجتهداً وقد أخطأ في تقدير المصالح والمفاسد، وهذا نص السؤال والجواب:

السؤال: ما الحكم الشرعي فيمن يضع المتفجِّرات في جسده، ويفجِّر نفسه بين جموع الكفار نكاية بهم؟ وهل يصحُّ الاستدلال بقصة الغلام الذي أمر الملك بقتله؟

الجواب: «الذي يجعل المتفجِّرات في جسمه من أجل أن يضع نفسه في مجتمع من مجتمعات العدو، قاتل لنفسه، وسيعذَّب بما قتل به نفسه في نار جهنم خالداً فيها مخلَّداً، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ فيمن قتل نفسه في شيء يعذّب به في نار جهنم.

وعجباً من هؤلاء الذين يقومون بمثل هذه العمليات، وهم يقرؤون قول اللّه -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، ثم فعلوا ذلك، هل يحصدون شيئاً؟ هل ينهزم العدو؟! أم يزداد العدُّو شدَّةً على هؤلاء الذين يقومون بهذه التفجيرات، كما هو مشاهد الآن في دولة اليهود، حيث لم

(١) جريدة «الفرقان» الكويتية، ٢٨ صفر/ العدد «١٤٥» «ص ٢٠-٢١».

يزدادوا بمثل هذه الأفعال إلا تمسكاً بعنجهيَّتهم، بل إنَّا نجد أن الدولة اليهودية في الاستفتاء الأخير نجح فيها (اليمينيون) الذين يريدون القضاء على العرب.

ولكن من فعل هذا مجتهداً ظانّاً أنه قربة إلى اللّه -عز وجل- فنسأل اللّه -تعالى- ألا يؤاخذه؛ لأنه متأوِّل جاهل...

وأما الاستدلال بقصة الغلام، فقصة الغلام حصل فيها دخول في الإسلام، لا نكاية في العدو، ولذلك لما جمع الملك الناس، وأخذ سهماً من كنانة الغلام، وقال: باسم اللّه ربِّ الغلام، صاح الناس كلهم، الربُّ ربُّ الغلام، فحصل فيه إسلام أمة عظيمة، فلو حصل مثل هذه القصة، لقلنا: إن هناك مجالاً للاستدلال، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قصَّها علينا لنعتبرَ بها، لكنَّ هؤلاء الذين يرون تفجير أنفسهم إذا قتلوا عشرة أو مئة من العدو؛ فإن العدو لا يزداد إلا حنقاً عليهم وتمسكاً بما هم عليه»[1].

□ فتوى الشيخِ المحدِّثِ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه اللّه تعالى-

لشيخنا محدِّث هذا العصر محمد ناصر الدين الألباني -رحمه اللّه- كلامٌ حول حكم هذه العمليات، مفاده ومؤدَّاه لا يخرج عمَّا سبق تقريره في فتوى الشيخ ابن عثيمين[2]، وقد أخطأ عليه كثير من الشانئين، فأكلوا لحمه، وأقاموا عليه الدنيا وما أقعدوها، كشأنهم في حرب الخليج، ولما هدأت الأحوال، تبيَّن لهم أن صنيعهم رماد، وأنهم علَّقوا الناس بسراب، وأنهم متعجِّلون، وهيهات لهم -في وقت الأحداث الجسام- أن يمسكوا

(١) مجلة «الفرقان» الكويتية «العدد ٧٩» «ص ١٨-١٩»، وجريدة «الفرقان» الكويتية، ٢٨ صفر/ العدد «١٤٥» (ص ٢٠).

(٢) وفي كلامه -رحمه اللّه- زيادة شرط «بأمر قائد الجيش»، كما سيأتي قريباً.

ألسنتهم؛ لأنه لا وجود لهم إلا بها، ووجودهم صياح وعويل، دون ثمرة أو تأصيل، وزمن (العواطف) ولّى أو كاد، ولن يبقى الوجود -إن شاء اللّه تعالى- إلا للأصيل، الذي أحكم تصوراته وأفعاله وأقواله بالدليل، على قواعد أهل العلم والتبجيل، وهذا أول النصر، لا سيما لهذا الجيل.

إن فتوى الشيخ -رحمه اللّه تعالى- تدور على الجواز بشروط، من أهمِّها: أن يقع تقدير المصالح المترتِّبة عليها من أمير للجيش، وإلا دبَّت الفوضى. وأن تقدير الشيخ -رحمه اللّه- في العمليات التي وقعت في (فلسطين) -أعادها اللّه إلى حظيرة الإسلام والمسلمين- لم تترتب عليها الآثار المتوخّاة في الشرع، ولهذا فهو يمنعها[1]، مع قوله -فيما سمعتُ منه-: «إنَّ مآل أصحابها إلى اللّه -عز وجل-، أرجو اللّه أن يتقبَّلهم»[2].

---

(١) القول بأن الشيخ يمنع هذه العمليات من أصلها ليس صحيحاً، ومن أراد أن يحرِّر مذهب عالم أو باحث أو شيخ أو مفت، فعليه أن يرجع إلى كلام صاحبه دون واسطة، وأن يعمل على جمع ما ورد عنه، فإن تعذر؛ فالرجوع إلى العارفين به، ولا سيما أن للشيخ تلاميذ معروفين، وأمَّا الاقتصار على كلام أو فتوى دون إحاطة، والتلويح به وتحميله ما لا يحتمل، وسياقه في معرض التنفير منه، ومن منهجه؛ فهذه من ألاعيب الحزبيين، وسَرعان ما يظهر عواره، و«حبل الكذب قصير»، وللكلام صلة تأتي في تعليقي على كلام الشيخ، واللّه المسدِّد.

(٢) مآل القائمين بهذه العمليات إلى اللّه -عز وجل-، ولا يجوز لأحد -كائناً من كان- إلا أن يعلّق الأمر هكذا، وتقدَّم هذا في كلام الشيخ ابن عثيمين -أيضاً-.

ويقول الشيخ صالح السدلان -حفظه اللّه- بعد تقريره المنع: «ثم نأتي على بعض الصور من الأعمال الانتحارية، التي يقوم بها بعض المسلمين بقصد إغاظة العدو، وإن كان فعله لا يقدِّم ولا يؤخِّر، ولكن مع كثرة هذا =

وهذا نص كلامه -رحمه الله تعالى- في هذه العمليات:

السائل: بعض الجماعات تقرُّ الجهاد الفردي مستدلَّةً بموقف الصحابي أبي بصير، وتقوم بما يسمى بعمليات استشهادية (وأقول: انتحارية)، فما حكم هذه العمليات؟

فأجاب الشيخ بالسؤال:

كم صار لهم...؟

السائل: أربع سنوات.

فقال الشيخ ناصر: ربحوا أم خسروا؟

السائل: خسروا.

فقال الشيخ ناصر: من ثمارهم يعرفون[1].

السائل: بالنسبة للعمليات العسكرية الحديثة، فيه قوات تسمى بالكوماندوز، فيكون فيه قوات للعدوّ تضايق المسلمين، فيضعون فرقة انتحارية تضع القنابل ويدخلون على دبابات العدو، ويكون هناك قتل... فهل يعدُّ هذا انتحاراً؟

الجواب: لا يعدُّ هذا انتحاراً؛ لأنّ الانتحار؛ هو: أن يقتل المسلم نفسه خلاصاً من هذه الحياة التعيسة... أمَّا

= الفعل ربما يُضْعِف العدوَّ أو يخيفه، كما قد يحدث في الأعمال الانتحارية التي لم تحقّق من الأهداف ولا خمسةً في المئة من هدف المنتحرين، فهذا العمل الذي يقوم به بعض الأشخاص يختلف من شخص لآخر، فربَّما يكون هذا الذي يقوم بعمل فدائي انتحاري يكون قد أثّر عليه من قبل من يرى ذلك، فيدخل بنيَّة أنه مقاتل ومجاهد ومدافع عن مبدأ أو شعار أو غير ذلك؛ فإن كان هذا المبدأ حقاً، وهذا المنتحر إنما اعتمد على من يقول بجواز ذلك فقد لا يسمى هذا قاتلاً لنفسه؛ لأنه معذور بسبب ما يقال ويسمع».

انظر جريدة «الفرقان» (العدد ١٤٥) (ص ٢١).

(١) سلسلة «الهدى والنور» «شريط ٥٢٧».

هذه الصورة التي أنت تسأل عنها، فهذا ليس انتحاراً، بل هذا جهاد في سبيل اللّه... إلا أن هناك ملاحظة يجب الانتباه لها، وهي أن هذا العمل لا ينبغي أن يكون فردياً شخصياً، إنما هذا يكون بأمر قائد الجيش... فإذا كان قائد الجيش يستغني عن هذا الفدائي، ويرى أن في خسارته ربحاً كبيراً من جهة أخرى، وهو إفناء عدد كبير من المشركين والكفار، فالرأي رأيه ويجب طاعته، حتى ولو لم يرض هذا الإنسان فعليه الطاعة...

الانتحار من أكبر المحرَّمات في الإسلام؛ ولا يفعله إلا غضبانُ على ربِّهِ ولم يرض بقضاء اللّه... أما هذا فليس انتحاراً، كما كان يفعله الصحابة يهجم الرجل على جماعة (كردوس) من الكفار بسيفه، ويعمل فيهم بالسيف حتى يأتيه الموت، وهو صابر؛ لأنه يعلم أن مآله إلى الجنة... فشتان بين من يقتل نفسه بهذه الطريقة الجهادية وبين من يتخلص من حياته بالانتحار، أو يركب رأسه ويجتهد بنفسه، فهذا يدخل في باب إلقاء النفس في التهلكة[1]. ا.هـ

كما نعرض هنا لنص الفتوى التي أفتى بها الشيخ ناصر الدين الألباني، رداً على سؤال وجه إليه حول العمليات، فأجاب -رحمه اللّه-:

«إن العمليات الانتحارية التي تقع اليوم تجوز ولا تجوز».

وتفصيل هذا الكلام الذي يوهم التناقض ظاهر أنها تجوز في النظام الإسلامي، في الجهاد الإسلامي، الذي يقوم على أحكام الإسلام، ومن هذه الأحكام أن لا يتصرَّف الجندي برأيه الشخصي، وإنما يأتمر بأمر أميره؛ لأنّ النبي ﷺ كان يقول: «من أطاعني فقد أطاع اللّه، ومن أطاع أميري فقد أطاعني»، فإذا كان هناك -ونرجو أن يكون قريباً- جهاد إسلامي، على النظام الإسلامي، وأميره لا يكون جاهلاً، وإنما

(١) سلسلة «الهدى والنور» «شريط ١٣٤».

يكون عالماً بالإسلام، خاصَّة الأحكام المتعلّقة بالجهاد في سبيل اللّه، هذا القائد أو هذا الأمير المفروض أنه يعرف، وأخذ مخطَّطَ ساحةِ المعركة وتصوَّرها في ذهنه تماماً، يعرف -مثلاً- إذا كانت هناك طائفة من الجيش لها نكاية في الجيش الإسلامي، ورأى أن يفاديَ بجزء من جنوده. ثم قال: وهذا مثال، وأنا لست عسكرياً، لكن الإنسان يستعمل عقله، فكلنا يعلم أن الجنود ليسوا في البسالة والشجاعة سواء، وليسوا في مرتبة واحدة في معرفة أصول القتال وأحكام القتال، فأنا أتصوَّر أن هذا القائد سيأخذ رجلاً، من الذين يصلحون للطبخ والنفخ، من الذين لا يصلحون للقتال؛ لأنه لا يُحسِن القتال، ليس عنده شجاعة، ويقول له: تسلَّحْ بالقنابل أو اركب الطائرة، واذهب بها إلى الجماعة الموجودين في الأرض الفلانية... هذا انتحار يجوز، أما أن يأتي واحد من الجنود كما يفعلون اليوم، أو من غير الجنود، وينتحر في سبيل قتل اثنين أو ثلاثة أو أربعة من الكفار فهذا لا يجوز؛ لأنه تصرُّف شخصي ليس صادراً عن أمير الجيش، وهذا التفصيل هو معنى قولنا: يجوز ولا يجوز.

وهذا كلام آخر للشيخ -رحمه اللّه- حول هذه العمليات، نختم به النقل عنه:

السائل: ما حكم الذين يموتون في عمليات جهادية على الحدود مع اليهود؟

الجواب:

أولاً: إذا قصدوا الجهاد في سبيل اللّه -عز وجل- فهو بنياتهم؛ للحديث المعروف في «صحيح البخاري ومسلم»، وهو من الأحاديث التي افتتح البخاري كتابه «الصحيح» به، وأخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» في كتاب الجهاد؛ لبيان أن الجهاد لا يكون جهاداً في سبيل اللّه إلا إذا خلصت النية للّه -تبارك وتعالى-، وقد كنا ذكرنا في جلسة سبقت، أنه يشترط في العمل الصالح الذي يرفعه اللّه -عز وجل- مقبولاً

لديه شرطان اثنان:

- أن يكون على وجه السنة.

- وأن يكون خالصاً للّه -عز وجل-.

ولا شك أن الجهاد هو من الأعمال الصالحة التي فرضها اللّه -عز وجل-؛ تارة فرض عين، وتارة فرض كفاية، وأناط بالجهاد بقاء العز للأمة المسلمة، وعلى العكس من ذلك إذا أهملوا الجهاد في سبيل اللّه، كما جاء في الحديث الصحيح: «سلط اللّه عليهم ذلاً لا ينزعه -لا يرفعه عنهم- حتى يرجعوا إلى دينهم».

فلا داعي لإثبات أن الجهاد عبادة -وعبادة عظيمة جداً-، ولكن هذه العبادة لا تقبَلُ عند اللّه -عز وجل- إلا إذا خلصت النِّية للّه وليس لحزبية، أو دفاعاً عن أرض، والأرض كلها للّه، يملّكها من يشاء من عباده، ذلك الحديث الذي افتتح الإمام البخاري كتابه «الصحيح» -كلكم يسمعه-، ولكنْ من الظنِّ العملُ به.

قال -عليه الصلاة والسلام-: «إنما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكلِّ امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى اللّه ورسوله، فهجرته إلى اللّه ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

هذا الحديث صريح جداً؛ لأنّ الهجرة التي ذُكرت في هذا الحديث، والمقصود بها هو الجهاد في سبيل اللّه -عز وجل-، إنما يقبله ربنا -تبارك وتعالى- إذا كان بنيَّة خالصة للّه، لا يريد من وراء ذلك شيئاً من حطام الدنيا، أو مما يتعلق بها، قال -عليه السلام-على سبيل المثال-: «فمن كانت هجرته إلى اللّه ورسوله، فهجرته إلى اللّه ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه». ذكر المرأة والمال يصيبه الإنسان في الجهاد، لا يبتغي من وراء هذه إلا اللّه، فهو ونيته.

قلت: ذكر ذلك على سبيل المثال، وإلا فالنية تُفسَد بكثير من الأمور،

ليست امرأةً ينكحها، أو دنيا يصيبها فحسب، فقد يكون يريد من جهاده ومن قتاله أن يقال: إنه مجاهد، لا يريد مالاً ولا يريد امرأة في السبي، وإنما يريد أن يقال: فلان مجاهد، فهذا هو ونيته؛ أي: ليس له جهاد.

فالجواب إذن: إذا خلصت النية من المجاهد للّه، لا شك أنه يثاب على ذلك لما يستحقُّه، ولكن هذا الجهاد الذي جاء السؤال عنه، ليس هو الجهادَ الذي أمر اللّه به، فأنا أقول: هو ونيته؛ لأنه قصد الجهاد، لكن الجهاد يجب أن يُعدَّ له عدته، كما قال اللّه -تعالى- في الآية المعروفة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، هذا هو الجهاد حين يعلن وتتخذ له العدة، هو الذي لا يجوز التخلُّف عنه.

أما الجهاد بمعنى ثورة أفراد، يثورون ولو انتقاماً لأرضهم، فذلك ليس جهاداً، نعم؛ يكون الدفاع عن الأرض واجباً، أمّا هذه الهجمات التي في أكثر الأحيان تكون الخسارة المترتبة عليها أكثر من الربح -كما هو مشاهد- في كثير من أمثال هذه الهجمات، فليس هذا هو الجهادَ الذي يوجب على المسلمين كافة أن ينفروا -كما جاء في القرآن-، إنما هو الجهاد الذي أشار اللّه -عز وجل- إليه في آية أخرى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً﴾، ولذلك فعلى المسلمين -كما صرَّحنا بهذا في أكثر من مناسبة- أن يعودوا إلى أنفسهم، وأن يفهموا شريعة ربِّهم فهماً صحيحاً، وأن يعملوا فيما فهموا من شرع اللّه -عز وجل- ودينه عملاً صادقاً خالصاً، حتى يتكتَّلوا ويتجمَّعوا على كلمة سواء؛ حينئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّه -تبارك وتعالى-.[1] ا.هـ.

---

(١) من شريط «التحري في الفتوى» «رقم ٢».

ومن كلام شيخنا -رحمه اللّه تعالى- في «ضعيف الترغيب والترهيب» «١/ ٣٥٧» في =

قال أبو عبيدة: وجدت بعد هذه النقولات كلاماً للشيخ على أثر صحيح، كان الشيخ -رحمه الله- قد خرَّجه في «السلسلة الصحيحة» (١٣)، وهو في «صحيح موارد الظمآن» (٢/ ١١٨-١١٩) رقم (١٣٨٦-١٦٦٧) وعلَّق عليه فيما -بعد- بكلام فيه تصريح بتجويزه لمثل هذه العمليات مع شروط أوجز ذكرها في التعليق عليه، وفصلها فيما مضى، وهذا نص الأثر مع التعليق:

«عن أسلم أبي عمران مولى لكندة، قال: كنَّا بمدينة الروم، فأخرجوا علينا صفّاً عظيما من الروم، وخرج إليهم مثله أو أكثر -وعلى أهل مصر عقبة بن عامر صاحب رسول الله ﷺ؛ فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح به الناس وقالوا: سبحان الله! تلقي بيدك إلى التهلكة! فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: أيها الناس!إنكم تتأولون هذه الآية على هذا التأويل، إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، وإنَّا لَّما أعزَّ الله الإسلام، وكَثُر ناصريه؛ قلنا بعضنا لبعض سراً من رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثّر ناصريه، فلو أقمنا في أموالنا؛ فأصلحنا ما ضاع منها! فأنزل الله عز وجل [على نبيه ﷺ] يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥] فكانت التهلكة

= التعليق على حديث رقم «٧١٩» -وفيه ذكر لـ«المسجد الأقصى»- قال عنه:

هو أحد المساجد الثلاثة التي تشدُّ الرحال إليها، وقد احتلّه اليهود في جملة ما احتلوا من «فلسطين»، أعادها الله إلى المسلمين، كما أعادها إليهم من بعد احتلال الصليبيين إياها، لكن الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، فعلى المسلمين أن يغيّروا ما في أنفسهم من العقائد المنحرفة، والأخلاق السيئة، إن أرادوا حقاً أن يغير الله ما نزل بهم».

الإقامة في أموالنا وإصلاحها وتركنا الغزو، وما زال أبو أيوب خارجاً في سبيل الله؛ حتى دفن بأرض الروم.

وعلَّق الشيخ -رحمه الله تعالى- على ما ورد في الأثر: «وتركنا الغزو» بقوله: وهذا ما أصاب المسلمين اليوم، فشغلوا بإصلاح أموالهم وتنميتها عن الاهتمام بدينهم..» الحديث، وفيه: «تركتم الجهاد في سبيل الله؛ سلَّط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم».

وفي الحديث ما يدل على جواز ما يعرف اليوم بالعمليات الانتحارية التي يقوم بها بعض الشباب المسلم ضدَّ أعداء الله، ولكن لذلك شروط، من أهمها أن يكون القائم بها قاصداً وجه الله، والانتصار لدين الله، لا رياء، ولا سمعة، ولا شجاعة، ولا يأساً من الحياة»ا.هـ.

وللبحث بقية . . .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-

(المحبَّة المترددة!)

«مثل أن يحبَّ ما تُكره محبته في الدِّين، فتبقى شهوته تدعوه إلى قصده، وعقله ينهاه عن ذلك، فتراه يقصدُه من طريق بعيدٍ، كما تقول العامَّة: (رِجْلٌ إلى قُدام، ورِجْلٌ إلى خَلف)، وكذلك إذا كان في دينه نقصٌ، وعقلُه يأمرُه بقصد المسجد أو الجهاد، أو غير ذلك من المقصودات التي تُحبُّ في الدِّين وتكرهها النَّفس؛ فإنَّه يَبقى قاصداً لذلك من طريق بعيد متباطئاً في السَّير، وهذا كلّه معلوم بالفطرة . . .».

[«مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٧٠)]

أسباب النَّصر والتَّمكين

• بقلم: الشيخ رياض الحقيل

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه... أما بعد.

فلا شكَّ ولا ريب أن الأحداث الخطيرة التي تحصل في فلسطين وغيرها تهزُّ المشاعرَ، وتُبكي العيون، وتُدمي القلوب -والله المستعان-.

ولا نظنُّ بمسلم -ولو لم يكن حظُّه من الإسلام إلا الاسم- إلا ويتمنَّى الحلَّ لمشاكل الأمة والعزّ والنصر لها ... ولكن كيف السبيل وما الحلُّ؟!

إنه في كتاب الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٥-٤٦] فهذه الآية جمعت بين خمسة أمور مهمَّة هي أسباب النصر والعزّ والتمكين والثبات على الحقّ: كثرة ذكر الله -تعالى-، طاعة الله ورسوله، الاجتماع والائتلاف والبعد عن التنازع، الصبر ... وكلُّ ذلك بعد تحقيق الإيمان؛ لأن الآية خاطبت المؤمنين...

ومن الأمور المهمَّة التي هي من أعظم أسباب النصر: الاجتماع ووحدة الصف أمامَ العدو... كما في الآية: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦] أي: قوتكم... فما هو

وكيف لا ننبذ الفرقة والاختلاف؟

أمَّا السبيل للوحدة فقد كثر فيه كلام الناس، وكلٌّ يدلي بدلوه، والجميع حريص أشد الحرص!!! لكن ما هو الطريق الحقّ!؟

كثير من الناس يحرص على الوحدة والاجتماع قبل الحرص على الاعتصام بالحقّ ! ومن هنا جاء الخطأ وبدأ الخلل.

قال شيخ الإسلام: «متى ما ترك الناس بعض ما أمرهم الله به، وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب» [«الفتاوى» (٣/ ٤١٩)].

وهو مأخوذ من قوله -تعالى-: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣] فبدأ بالاعتصام بالحقّ وحبل الله قبل الاجتماع ... فانتبه!!

وهكذا قوله ﷺ في حديث العرباض بن سارية: «...فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور...» الحديث، فقد ذكر الداءَ والدواءَ... المشكلة والحلَّ.

فعلاجُ الاختلافِ والتفرُّقِ هو الاعتصام بالكتاب والسنة على هدي الصحابة والسلف الصالح.

ولو سألنا أنفسنا لِمَ لم يتمَّ الاجتماع والوحدة؟!! وما سبب تفرُّق الأمة -رغم الحرص الشديد على ذلك...

فالجواب هو: «لأن الأمة حرصت على هدف دون السعي في طريقه الصحيح».

فكم من الناس من يتكلَّم عنِ الوحدة والاجتماع!! وهذا حسن! لكن كم من الناس من يتكلم عن الطريق الصحيح والمنهج الحقّ الذي لا يمكن حصوله ولا الاجتماع بدونه.

إن الاعتصام بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح هو الطريق... قبل الحرص على الوحدة بل بدونه لا يمكن حصولها... وأي وحدة مزعومة بدون هذا المنهج الحقّ فلا ثبات لها

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة:١٣٧].

وفي حديث الفرقة الناجية قال ﷺ عنها إنها: «الجماعة» وفي رواية: «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»، وقال -أيضاً-: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلُّوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي»، وَصَدَقَ الإمام مالك في قولته المشهورة: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أوَّلها».

وإذا تذكَّرنا تاريخ العهد الأول في المدينة فقد اجتمعت الكلمة بين الصحابة من أوس وخزرج، ومن مهاجرين وأنصار، وذابت العصبيات، وزالت الفوارق والشكليات؛ لأن العقول والقلوب توجَّهت لفاطر الأرض والسموات وتمسَّكت بحبل الله المتين ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال:٦٣].

لكن بعد عهد الخلفاء الراشدين أو في أواخره... بدأ شيء من التفرُّق والانقسام! فمتى كان ذلك؟!

الجواب واضح لمن تأمَّل وتدبَّر... لما أطلَّت البدعة برأسها، وخرجت الأهواء من مكامنها، فكان الابتداع في الدين هو السببَ الأولَ في حصول الاختلاف، كما مر معنا من كلام شيخِ الإسلام فيما سبق.

قال -تعالى-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣].

قال شيخ الإسلام: «البدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة». [«الاستقامة» (١/ ٢)]

لهذا حذرنا النبي ﷺ من البدعة وشدَّد في التحذير؛ فقال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ..»، وقال: «لعن الله من أحدث أو آوى محدثاً»، وقال: «كل بدعة ضلالة»، وبيَّن أن التوبة محجوبة عن صاحبها إلا أن يتركها... إلى غير ذلك من النصوص؛ بل المواقف التي تدُّل على شدَّته وحزمه مع المبتدعة ومن أراد الزيادة في الدين؛ كما حصل مع الثلاثة الذين تقالوا عبادته وأرادوا الزيادة والتوسع والتنطع فقال: «من رغب عن سنتي فليس مني».

بينما يتلطَّف ويترفَّق بأصحاب المعاصي مع عدم التهاون بها...كما في

قصّة الشابِّ الذي يريد الزنا والآخر الذي قبّل ... ونحوها...

ولهذا حذَّر السلف من أهل البدع.

فقال الحسن: «لا تجالسوا أهلَ البدع ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم».

وقال يحيى بن كثير: «إذا لقيت صاحبَ بدعة في طريق... فخذ غيره».

وكما قيل: «الموضوع ذو شجون» ومن أراد التوسُّع فليقرأ «الاعتصام» للشاطبي.

والمقصود: أنه لا سبيل للوحدة إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح فما هو الطريق لذلك؟!

إنّه العلم الشرعي أولاً... ثم العمل به والدعوة إليه والصبر على ذلك كله... كما في (سورة العصر).

وكما قال -تعالى-: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد:١٩].

فالعلم قبل القول والعمل كما في الآية الكريمة ونص على ذلك الإمام البخاري وغيره.

وفضائل العلم ومكانة العلماء لا تخفى على المسلم المبتدئ فضلاً عن طالب العلم.

فالعلم إرثُ الأنبياء، ويرفع درجة صاحبه، بل يجعله في مصافِّ الملائكة في شهادتهم مع شهادة رب العالمين على أعظم مشهود، وهو طريق الجنة وأهله أحد صنفي ولاة الأمر، والملائكة؛ بل العباد والحيتان حتى النمل وأهل السماوات والأرض يدعون له ويستغفرون ... إلى غير ذلك من الفضائل التي وُجِدت في كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة.

نعم؛ نقول العلم الشرعي هو الطريق ... فمن أعظم أسباب التفرق والخلاف ...الجهل ولكن أي علم نقصد؟! ومن هم الذين نريد؟!

العلم قال الله قال رسوله

قال الصحابة هم أولو العزم؟!

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة

بين الرسول وبين قول فلان

وصدق بعض السلف: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم».

فالسؤال المهم...أين نحن من العلم الحقيقي؟ مَنْ مَرجِعُنا في العلم؟!

أهـــي المحاضـــرات أم الأشـــرطة والكتيبات؟ أو النشاطات والمسابقات؟! نعم هذه مفيدة ولها إيجابيات...

لكـنَّ العـلم الحقـيقي مـن أبوابه الحقـة هـو أن تأخذه من العلماء الكبار الذيـن شـابت لحـاهم في الإسـلام...، والمعروفين بسلامة المعتقد وصحة المنهج والاسـتقامة عـلى السـنة، وشهدت لهم الأمة بذلك، ورسخوا في العلم وصاروا حكمـاء في توجـيه العباد، فقهاء في دين الله، واسعي العلم.

نعـم العـلم مهـم لحفـظ ديـنك واسـتقامتك، ولاجـتماع الكـلمة وللردِّ على البدع والأهواء.

فاطلب العلم -أخي المسلم أختي المســلمة- واجـتهدا فـيه بـإخلاص، ومـتابعة؛ ففـيه رفـع الجهـل عن نفسك وأمـتك والدفـاع عن دينك، كن متحلياً بالصـبر ورحابـة الصـدر في مسـائل الاجـتهاد وتقبَّل غيرك، واعمل بالعلم وادع إليه بحكمة وبصيرة، احترم العلماء ووقـرّهم...وابـتعد عـن تصيُّد الأخطاء والعـيوب، واعذرهـم، وكـن متثبتاً ولا تستعجل... واحرص على فهم مراد الله ورسوله...

علـيك بـتقوى الله والمـثابرة والاسـتمرار والحفـظ وملازمـة العلماء لتصل إلى الطريق الحقِّ.

احـذر مـن المهلِكـات: كالحسـدِ والـرياءِ والغَـيْرةِ، والتكـبُّرِ والتعُّصـبِ للـرأي، والتصـدُّر قبل التأهُّل... وسوءِ الظنِّ، والإفتاءِ بغير علم.

إيـاك والـتَّحزبَ؛ فهـو طـريق التفرقِّ وتمزيق الأمة شيعاً ...

فكـم من طائفة أو فرقة أو جماعة تدعو للمحبَّة والاجتماع وتذكر فضائل ذلـك ...؛ لكـنها تجعـل سـهماً لتكوين حـزبها وتكـثير أتباعها؛ وبالتالي: فرَّقوا المسـلمين وجعلوهـم شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون؟!

فعـلاج ذلـك العـلم الشـرعي والحـذر مـن هـذه المزالق... وأنصح بما كتـبه فضيلة الشيخ بكر أبو زيد في كتابه القيم «حكم الإنتماء».

والله الموفـق والهـادي إلى سـواء السبيل.

وصـلى الله على محمد وآله وسلم.

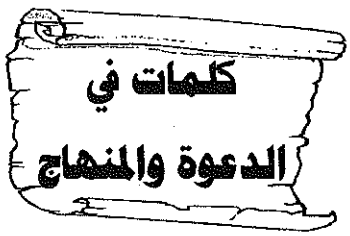

* الحلقة الأولى

مع سفر الحوالي، والإرجاء ... مرة أخرى!

• بقلم: الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثريّ

. . . أوقفني عصر أمس الأحد: ١٣/ربيع الثاني/١٤٢٣ - بعض إخواني طلبة العلم؛ على لقاء (صحفي) أجرته مجلة (البيان) -الصادرة في لندن!- مع (فضيلة العلامة(!!) الدكتور سَفَر بن عبد الرحمن الحوالي!!)[1] في عشر صفحات كاملة من القطع الكبير!! تحت عنوان: (على المسلمين فهم طبيعة المعركة، والإعداد لها)!

وكان اللقاء فكرياً، سياسياً، حركياً؛ قلَّ أن تجد فيه آية أو حديثاً!!

والحقيقة أن مجال نقد هذا (الحوار=اللقاء) كبير، وكبير جداً؛ لعل الله -تعالى- ييسّر لي -أو لغيري من طلبة العلم- نقدَه، وبيانَ ما فيه وفيه!

ولكني أردت -استعجالاً بالخير- أن أنقد منه ما يتعلَّق بموضوع تكرَّر القول فيه! وتعدَّد الاتهام به!! وتنوع الحديث عنه!!! ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[طه: ٨٤]...

وهو موضوع (الإرجاء)، وما يتصل به من فتنة وبلاء...

ولقد نظرت في كلام (د. سفر) -هنا- فرأيته تكراراً واختصاراً- بصورة أو بأخرى! -مع إصرار (عجيب!) على الاستمرار في الاتهام، والمضيِّ في منكر القول والزور...

ولقد كان صاحبه القديم (سلمان العودة) أقرب إلى العدل منه- وأبعد من

(١) كما كتبت المجلة!

الجور- عندما تكلَّم في هذا الموضوع -ذاته-، قائلاً:

«ربما كان التسرع في التكفير، والإرجاء وجهين لعملة واحدة؛ فما من خصلة من الشرع إلا وللشيطان فيها نزعتان: إفراط أو تفريط.

والعدل هو الوسط؛ الذي يُرَدُّ إليه الجافي والغالي.

وربما كان واقع الناس في جرأتهم وضعف تمسكهم، وقلة خوفهم معبِّراً عن نزعة عملية إلى الإرجاء.

بينما يميل بعض المتعلمين والمتفقهين إلى نوع من الضبطِ يفضي أحياناً إلى الجرأة على التكفير.

ومن الخطأ أن تتحول هذه المسائل العلمية إلى تنابز بالألقاب، وتدافع بالأيدي، وافتعال للخصومات والمعارك، بين فئات قد لا تعي من الأمر شيئاً! بقدر ما تتلقَّى عن متبوعها وتجتهد في نصرة قوله!!

إن الكثير من الشباب في حاجة إلى بناء نفوسهم، وعقائدهم، وأخلاقهم وحياتهم، وإعدادهم للدَّوْر المنظور منهم، وهذا لا يتأتَّى حينما تصبح بداياتهم صراعاً محموماً حول مسائل هم قد لا يفهمونها! ولا يدركون أبعادها ولا يستفيدون منها كثيراً»[1].

فأين هذا الكلام من ذاك؟!

وإنَّ حال (د. سفر) ليتنزَّل -تماماً- على كلام (صاحبه سلمان)؛ وذلك من وجهين:

الأول: أنه تلَّقى (!) من متبوعه (!!) هذه الفكرة، وبلورها، وفخَّمها، وقعَّد لها...

ومتبوعة -هنا، في هذا!- هو محمد قطب: (المفكِّر) الحركي المعروف؛ كما في مواضع من كتابه «واقعنا المعاصر»؛ إلحاحاً على قضية الإرجاء، وما يتَّصل بها من بلاء ولأواء ...

---

(١) انظر كتابي (التنبهات المتوائمة في نصرة حقٍّ «الأجوبة المتلائمة»، وكشف مغالطات وأغاليط «رفع اللائمة» (١٢٣- الأصل) لبيان تعليقي على هذه الكلمة.

الثاني: أن معالجته لهذه القضية الدقيقة: معالجة سطحية غير عميقة...

ويظهر هذا -جيِّداً- في كلامه الكثير الكثير في أطروحته للدكتوراه «ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي»؛ والتي أشرف عليه فيها -أيضاً-: محمد قطب!

ولقد كتبت -قريباً- رسالة-بعنوان: «الدرر المتلألئة، بنقض الإمام الألباني (فرية) موافقته المرجئة» رداً على ثلاثية: (سيد قطب = محمد قطب = سفر الحوالي)، ثم أتبعتها بنحو مئة تعليق كتبها شيخنا الإمام -رحمه الله- رداً على مواضع من «ظاهرة إرجاء سفر!».

وهي كافيةٌ ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

وبخاصة أن كتابي هذا سبقه كتاب آخر، أهم منه -في نظري-، وهو: «التعريف والتنبئة بتأصيلات الإمام الألباني في مسائل الإيمان، والرد على المرجئة».

ولكن؛ ما حيلتنا فيمن يُعرض عن الحقِّ، ويُصرُّ على نقيضه؟!

وها هو الإصرار يتجدَّد -ويتمدد!- بثوب جديد، وقول عنيد!

وقد حان الأوان لرد مقالة (البيان!):

-**أولاً**: قال (الصحفي المحاور) -وهو مُبْهَمٌ لا تعرف حاله ولا عينه!-:

ما رأي فضيلتكم فيما تعرَّض له بعض أهل السنة من لوثة الإرجاء: هل سببه خلل منهجي؟ أم ردود أفعال؟

فأجاب (د. سفر):

«المؤسف أنه ردود أفعال؛ فلو أن أي طالب علم جمع نصوص الكتاب والسنة، وأقوال السلف في المسألة لما وقع أبداً في شك. لكن، حين ابتدأ بعضهم الأمر بالدفاع عن زلَّة عالم، تحولت المسألة إلى إصرار على الخطأ، وعسف للأدلة، وتحريف للنقول لكي تؤيد تلك الزلة.

والشكر مستحق للجنة الدائمة للإفتاء، والمشايخ الفضلاء؛ الذين كشفوا الشبهات، وبينوا التلبيس»ا.هـ.

أقول:

-أما قوله: «إنه ردود أفعال»!!

فهو أهون -حقاً- من أن ينسبه إلى خلل المنهج؛ كما فعله -ويفعله- كثير من مقلديه الهوج!

ومع ذلك؛ فكيف تكون (هذه) ردودَ أفعال، ونحن على ما نحن عليه، قبل ظهور هذه الفتن المفتريات، وتلكم الدعاوى والاتهامات؟!

وهل (ردود الأفعال) سابقة لـ (الأفعال)؟! أم أثرٌ لها؟!

نعم؛ إن الأخذ والردَّ، والتعقُّب والنقد -الذي جرى ويجري!- أفادنا أموراً وأموراً؛ عبرت عن بعضها في كتابي «الردّ البرهاني» (ص ١٥) -قائلاً-: «وهذا كله -والفضل لله- أوجد عندي معرفة -ليست قليلة!- بمدلولات الكلمات، ومعاني المصطلحات، ومثار النقاشات، ومدار المساجلات؛ فرأيتني أضبط ألفاظاً كنت استعملتها -قديماً- لتصير أدقَّ في المقصود، وأدلَّ على المراد! وأُغير كلمات -أو عبارات- قد أُسيء فهمها! ورأيتُني أُحاذر من مصطلحات كنت أتوسع فيها، ولا أتحاشى من ترادفها، مضيِّقاً دائرتها؛ وذلك لما رأيته من التباين بين الفرقاء -والمتباحثين- في توحيد فهمها، فضلاً عن استيعابها وهضمها . . .

فكان الأمر -في جُلِّ هذا- ولا يزال منه بقايا!- كمثل ما قال القائل:

سارت مشرقة وسرت مغرباً

شتان بين مشرق ومغرب.

وأقول -الآن-: ولا تزالُ العَجَلَةُ تدور!!

-وأما قوله: «فلو أن أيَّ طالبَ علم جمع نصوصَ الكتاب والسنة، وأقوالَ السلف -في المسألة- لما وقع -أبداً- في شكٍّ..»!!

فهذا استعراض عضلات يستطيعه -وأكثر منه!- كلُّ أحد من الناس، مهما كان مبلغه من العلم -أو الجهل-!

وإلا؛ فهل يفوت هذا الجمعُ شيخنَا الإمام محدث العصر، وحاملَ راية سنة نبينا -عليه الصلاة والسلام-؟!

. . . ولا أقول هذا تعصُّباً أو تقليداً لا؛ وإنما أقوله بعدَ نظر ونظر؛ فيما كتبه وحرَّره شيخنا الإمام، بين ما جمعه وسوده هذا المنتقد المستعرض -بغير حق-.

وسيأتي بيان شيء من ذلك -قريباً -إن شاء الله-.

-وأما دعواه الإصرارَ على الخطأ، دفاعاً عن زلّة عالم!!!

فسهل -جداً- قلبُها على مدّعيها، وعكسها على قائليها، بل هذا أهون وأهون . . . فالدفاع عن زلّة العالم أجلُّ قدراً -بكثير- من الدفاع عن تخاليط من ليس بعالم!!

وسيأتي البيان -بمنة ربنا الرحمن-.

وأما (شكره!) -الأخير- للّجنة الدائمة والمشايخ الفضلاء...!

فليس ذلك (منه) إلا لكون ذلك وافق ما يبغي، ورافق ما يريد، وإلا: أين موافقته للمشايخ الفضلاء التي لا تخفى عليه، ولا تغيب . . . ؟!

وكلامه في «وعد كسنجر» (ص ١٣٨-١٣٩)، حول (التحاكم إلى الشرع) في (دولة الرفاهية)!! يكشف أطراف القضية!!

وقد سقته -بتمامه- في «الدرر المتلألئة» (ص٣٦-٤٠)؛ فانظره...

ثانياً: ثم قال (الصحفي المحاور) مستدركاً: لكن قد يقال: إن الحديث عن جنس العمل، وكونه شرطاً في صحة الإيمان، لا يزال محلَّ اشتباه عند بعض السلف فما الملائم في تقرير هذه المسألة؟

فأجاب (د. سفر) -بقوله-: «نعم؛ هناك من يقدِّم رأي شيخه على الحقِّ، وهناك من يصعب عليه التراجع، وهناك من يضعف عن فهم جوانب المسألة.

وفي الإمكان تقرير الحقِّ بكل بساطة، وذلك بالاعتماد على أمرين...». اهـ.

فأقول: هذه كلمات إنشاء يقدر على كَتْبِ ما هو مِثْلُها كلُّ ذي قلم...

وكما قلت -قَبْلاً- أقول -الآن-: إن عكس هذه الكلمة على قائلها، وقلبها على مسوِّدها أسهل -وأثبت- من البدء بكتابتها، والمقام أيسر في إيقاعها، والمحلُّ أكثر قبولاً في استيعابها ...

فكان ماذا؟!

أمَّا الأمران اللذان ذكرهما (د.سفر) -بعد- مناقشته فيها...

ففي الحلقة القادمة -إن شاء الله-.

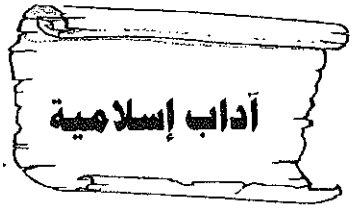

❖ الحلقة الثانية

آداب الطعام في الشريعة المطهرة

• بقلم: الحارث بن زيدان المزيدي

٧) التسمية:

وعلى المسلم أن يحرص على التسمية في أول الطعام بأن يقول: (بسم الله)، وإن نسي ومضى في الأكل؛ فليقل إذا ذكر: (بسم الله في أوله وآخره)؛ وإلا فسيأكل الشيطان معه، ومن ثم سيتقوى عليه.

قال رسول الله ﷺ لعمر بن أبي سَلَمةَ وهو صغير: «يا غلام! سمِّ الله وكل بيمينك... ». [«البخاري» (٣٧٦)]

وفي رواية: «إذا أكلت فقل: بسم الله» [طب (٩/ ٨٣٠٤)، «الصحيحة» (٣٤٤)]، وقال ﷺ: «إذا أكل أحدكم؛ فليقل: بسم الله، فإن نسي في أوله فليقل: بسم الله في أوله وآخره». [ص ت (١٨٥٨)]

هكذا علمنا رسول الله ﷺ في كلِّ الأحاديث، ولم يزد بما هو شائع بين الناس زيادة: (الرحمن الرحيم).

وفي حديث آخر: كان إذا قُرِّبَ إليه طعام قال: «بسم الله...». [أحمد (١٩١٧٩)، و«الصحيحة» (٧١)]

إذن؛ الزيادة على التسمية بـ (الرحمن الرحيم) -كما علمتم- لم يُعلِّمنا إياها ﷺ، فيجب تركها في هذا المقام، ولا يقال: ما المانع؟ فزيادة (الرحمن الرحيم) خير، ولا شيء فيها؟!

فنقول: بل فيها كلُّ الشرِّ.

ويُعلَّل ذلك بما يلي:

أولاً: فيه تكليف الإنسان نفسَه بما لم يُكلَّف به، وهذا تكلُّف مذموم.

ثانياً: فيه البعد عن الهدي النبوي الذي علَّمنا كلَّ الخير، ولم يترك شيئاً منه إلا وعلَّمنا إياه؛ بل قال ﷺ:

«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ». [«مسلم» (٤٤٦٨)]

وأذكر هنا أثراً عن بعض الصحابة الأفاضل، أبين فيه كيف فهموا هذا الحديث، وأيضاً حديث: «كلَّ بدعة ضلالة» [«مسلم» (٢٠٠٢)]، مِمّا يظهر أنهم فهموه على (عدم جواز زيادة شيء والتزامه، وهو لم يعلمنا إياه ﷺ)، والأثر هو: أن رجلاً عطس إلى جنب ابن عمر فقال: الحمد لله، (والسلام على رسول الله)، فقال ابن عمر: وأنا أقول (الحمد لله والسلام على رسول الله)؛ وليس هكذا علَّمنا رسول الله ﷺ؛ علمنا أن نقول:

«الحمد لله على كل حال». [ص ت (٢٧٣٨)]

فانظروا كيف أنكر ابن عمر عليه زيادة (السلام على رسول الله)، وكلُّنا متَّفقون أنها خير؛ ولكن لنضع كلَّ شيء في موضعه؛ وإلا لفتحنا هذا الباب؛ وقلنا: يجوز أن نقول في التكبير للصلاة: (الله العظيم الحي القيوم) بدلاً من (الله أكبر)!

ونبدأ الأذان بالصلاة على رسول الله ﷺ. [انظر -للتوسع-: «الاعتصام» للشاطبي، و«البدعة» للهلالي، ورسالتي «كيف نعرف المنهج»]

وأمَّا أكل الشيطان معه إن لم يُسَمِّ؛ فلقد قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله؛ قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه؛ قال: أدركتم المبيت والعشاء». [«مسلم» (٥٢٣٠)]

٨) الأكل والشرب باليمين:

ويجب على المسلم أن يأكلَ بيمينه ويشربَ بها -أيضاً-، ويُعوِّدَ أبناءه على ذلك، لكي لا يشابه الشيطان ولا أعداء الرحمن، فهم يأكلون باليسرى، قال ﷺ: «إذا أكل أحدكم؛ فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه؛ فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله». [«مسلم» (٥٢٣٣)]

وقال للغلام: «يا غلام! سم الله وكل بيمينك . . ». [«البخاري» (٥٣٧٦)]

وقال لامرأة تأكل بشمالها: «لا تأكلي بشمالك، وقد جعل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لك يميناً، أو قال: وقد أطلق الله -عَزَّ وَجَلَّ- لك يميناً».

[رواه أحمد (١٦٧٥٦)، وصحَّحه الألباني في «جلباب المرأة المسلمة» (ص ٧١ ط٣)]

ولهذا ذكر ابن القَيِّم أن الأكل باليسرى مُحَّرم. [«زاد المعاد» (٢/ ٤٠٥- بتحقيق الأرنؤوط- ط١)]

ومعلوم أن اليسرى تستخدم في غير الفضائل؛ كالاستنجاء ومس الذكر، والنبي ﷺ يقول: «لا يمسكن أحد ذكره بيمينه وهو يبول، ولا يتمسح من الخلاء بيمينه». [«مسلم» (٦١٢)]

فهذه الأمور وأمثالها من اختصاصات اليسرى، وأما اليمين فإنها مختصَّة بالأعمال النزيهة والأحوال النظيفة، وهذا هو المناسب لمكارم الأخلاق، والحسن عند الفضلاء.

٩) البدء بإعطاء الجديد من الطعام للطفل:

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: إن رسول الله ﷺ كان يُؤتى بأول الثمر فيقول: «اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مُدِّنا، وفي صاعنا بركةً مع بركة»، ثم يعطيه أصغرَ من يحضره من الولدان. [«مسلم» (٣٣٢٢)]

وخص رسول الله ﷺ الصغير؛ لكونه أرغب فيه، وأكثر تطلُّعاً إليه، ويفرح به ما لا يفرح به الكبير.

فالصلاة والسلام على رسولنا أرحمِ الخلق، وأفضلِهم هدياً في كلِّ شيء.

١٠) استخدام الوسائل المتاحة للأكل:

من المعلوم أن سنَة رسول الله ﷺ في الأكل: استخدامُ ثلاثة أصابع -وهو الأفضل-، وهذا لا يمنع استخدامَ جميع الوسائل الميسَّرة للأكل كالملعقة وغيرها؛ لأن الحاجة تدعو إليها -بخلاف الطاولة-، ولا تشبُّه فيها بالكفار؛ لأنها من الحاجات؛ فهي كلبس الساعة.

ولـه -أيضاً- استخدام السكين، والأكل من اللحم مباشرة، ولا حرج في هذا كلّه.

أما السكين؛ فلقد رأى أحد الصحابة الكرام رسول الله ﷺ يحتز من كتف شاة، فدعي إلى الصلاة فألقى السكين ... [«البخاري» (٢٠٨)]

يحتز: يقطع.

وأما مباشرة اللحم؛ فلقد قال أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: كنَّا مع رسول الله ﷺ في دعوة، فرفعت إليه الذراع -وكانت تعجبه-، فنهس منها نهسةً . . . [«البخاري» (٣٣٤٠)]

نهس: أخذ منها بأطراف أسنانه.

وليجتنبِ الوسائل المحرمة، كآنية الذهب والفضة -سبق ذكره- في (١).

وليجتنبْ ما هو من خصوصيات الكافر وليس هو من الحاجات؛ لأنه من التشبه:

والتشبه بالكفار يكون بالقلب (وهو حبُّ التَّشبه بهم، والميل إليهم)؛ وهو من الكبائر، وينافي الإيمان لقوله -تَعَالَى-: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾. [المجادلة: ٢٢]

وقد يكون بالعمل -فقط- (كَفِعْلِ فِعْلِهِمُ الذي هو من خصوصياتهم)، فهو محرَّم؛ لحديث: «من تشبَّه بقوم فهو منهم». [ص د (٤٠٣١)]

وضابط الحاجة: ما بدونه يحصل حرج ومشقَّة.

١١) الأكل من جوانب الإناء، ومما يلي الإنسان:

إن ممَّا يُديم البركة في الطعام، ويُظهِر الأدب والانتظام: البَدء بالأكل من جوانب الإناء.

كما قال ﷺ: «إذا وُضِعَ الطعام؛ فخذوا من حَافَّتِه، وذروا وسطه؛ فإن البركة تنزل في وسطه». [جه (٣٣٤٠)]

ومن الأدب -أيضاً-: أن يأكلَ مما يليه، ولا يمدَّ يده وجسده، فيؤذيَ فعلُه جلساءَه، قال ﷺ: «يا غلام! سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكل مما يليك . . » [«البخاري» (٥٣٧٦)]؛ ولكن ليطلبْ من إخوانه أن يناولوه ما يريد.

ويستثنى من ذلك حالان -أي: يصحُّ الأكل من غير ما يلي، لحالين ذكرهما العلماء-:

الأولى: إن عرف أن الحاضرين لن يكرهوا ذلك، ودليله: ما ذكره أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أن خيَّاطاً دعا رسول ﷺ لطعام صنعه، فذهبت مع رسول الله ﷺ فرأيته يتتبَّعُ الدُّبَّاءَ من حَوْلِ القصعة. [«البخاري» (٥٣٧٩)]

يتتبع الدباء: جالت يده في القصعة يأكل القرع.

الثانية: إن كانت هناك أصناف مختلفة، لا يصلها إلا بمد يده إليها. [ذكره العلماء اجتهاداً وفهماً، وفيه حديث ضعيف، رواه الترمذي]

١٢) إذا وقع شيء من الطعام:

وإذا وقعت من يد الآكل لقمة فليرفعها وليمسحها ثم ليأكلها، ولا يبالغ في الترف ويتنزه عنها، ويظن أن أخذها إخلالاً بآداب الطعام، فلقد قال الرسول معلماً له: «إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما بها من أذى، ولا يدعها للشيطان» [مسلم (٥٢٦٩)].

فالواجب على المسلم أن لا يمكّن الشيطان من سلبه قسماً من رزقه بمحض اختياره.

ونقل صاحب «الروضة الندية» عن أحد العلماء أنه قال: «زارنا ذات يوم رجل من أصحابنا فقربنا إليه شيئاً فبينما هو يأكل إذ سقطت كسرة من يده وتدهدهت في الأرض فجعل يتبعها وجعلت تتباعد عنه حتى تعجب الحاضرون بعضَ العجب، وكابد هو في تتبُّعها بعضَ الجهد، ثم إنّه أخذها فأكلها فلما كان بعد أيام تخبَّط الشيطانُ أنسانا، وتكلَّم على لسانه فكان فيما يتكلم: إني مررت بفلان وهو يأكل فأعجبني ذلك الطعام فلم يطعمني منه شيئاً فخطفته من يده فنازعني حتى أخذه مني». ["التعليقات الرضية" (٣/ ٨١)]

١٣) عدم التنفُّس أو النفخ في الإناء:

ومن السُّنَّة أن يشرب بثلاثة أنفاس، أي أن يشرب ثم يبعد الإناء ويتنفس، ثم يشرب...، وهكذا ثلاث مرات وله أن يشربه كله مرة واحدة من غير أن يتنفَّس فيه، وليس له أن ينفخ فيه ليبرِّده أو غير ذلك.

أما الشرب -ثلاثا- فلقد كان رسول الله ﷺ يتنفَّس في الشراب -ثلاثاً- يقول: «إنه أروى وأبرأ وأمرأ». [مسلم ٥٢٥٥]

أروى: أكثر ريا، أبرأ: أشفى من ألم العطش أمرأ: أجمل إنسياغاً.

وقيل: هو أبرأ لتردده على المعدة الملتهبة دفعات، فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الأولى عن التي قبلها، وفيها النهي عن التنفس فيه، ومنها ما قاله قتادة أن النبي ﷺ

نهى أن يتنفَّس في الإناء [مسلم (٥٢٥٣)] ويكون الفهم الصحيح ما سبق ذكره.

وحكمة النهي عن التنفس أو النفخ فيه أنه «ربما حصل لما في الإناء من النفس: أما لكون المتنفِّس كان متغير الفم بمأكول مثلا، أو لبعد عهد بالسواك والمضمضة، أو لأن النَّفس يصعد ببخار المعدة». [«الفتح» تحت رقم (٥٦٣٠)]

ومن أجل ما يخالف أن يبرز من ريقه أو مخاطه فيقع في الماء، وأيضاً من نظر في أحاديث النبي ﷺ يجد أنه كان ينهى عن بعض التصرُّفات التي فيها مشابهة للحيوان ومن طبيعة الدوابِّ أنها إذا شربت تنفست في الإناء فيكون الأحسن والأدب أن يتنفَّس الإنسان بعد أن يُبعدَ الإناء عن فمه.

وبما أن سبب النفخ إما يكون لحرارة الشرب فليصبر حتى يبرد، أو من أجل وسخ فليمطه بإصبعه.

[نحوه في «الروضة الندية» (٣/ ٩٦)].

أما النفس الواحد قال أبو سعيد الخُدري: «نهى رسول الله ﷺ عن النفخ في الشراب فقال رجل . .

فإني لا أروى من نفس واحد فقال ﷺ: «فأبن القدح -إذن- عن فيك». [ص ت (١٨٨٧)]

ووجه جواز النفس الواحد أن النبي ﷺ لم ينكر على الرجل حين قال: (إني لا أروى من نفس واحد) فلو كان الشرب بنفس واحد لا يجزئ لبيَّنه له، وقال له مثلاً: وهل يجزئ الشرب من نفس واحد؟ وكان هذا أولى من قوله له «فأبنِ القدح . . .»؛ فدل على الجواز [«الصحيحة ٣٨٥»]، والجواز ذكره غيرُ واحد من العلماء. [كما في «الفتح» تحت حديث (٥٦٣١)]

ومع هذا؛ فإن التمسُّك بالسُّنَّة أحبُّ من الشرب نهلةً واحدةً؛ إذ قد يشرق ويغص بكثرة الماء الوارد.

١٤) التلذذ بأصناف الطعام وذم الشبع المستمر:

قال -تَعَالَى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾.

فلا مانع على الغنيِّ أن يوسع على نفسه ويتلذذ بألوان الطعام فالنبيُّ ﷺ كان يأكل الرطب بالقِثاء. [«البخاري» (٥٤٤٧)]

القِثاء: البطيخ، وكان يحِبُّ الحلوى والعسل [«البخاري» (٥٤٣١)]، وكان يحب الزبد والتمر [ص ت (٣٨٣٧)]، وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد [ص ت (١٨٩٥)]، وكان يأكل -أحياناً- من الأرنب [ص ن (٤٣٢٣)]، والدجاج [«البخاري» (٦٧٢١)]، واللحم [«البخاري» (٣٣٤٠)] وغير ذلك.

وهذا -كلُّه- بشرط وهو عدم التبذير، وإلقائه مع النفايات، وبشرط آخر وهو عدم اعتياد الأكل إلى التخمة: الشبع المثقل المكسل؛ فإن النبي ﷺ دلَّنا إلى الخير والأجر، وأبعدنا عن الشر والإثم. وكان ممَّا نهانا عنه ومن جوامع كلمه أنه قال: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه؛ بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه؛ فإن كان لا محالة: فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» [ص ت (٢٣٨٠)] قال أبو حامد الغزالي: «ذُكِرَ هذا الحديث لبعض الفلاسفة من الأطباء فَعَجِبَ منه وقال: ما سمعت كلاماً في قلة الأكل أعظم من هذا . . .».

[«شرح السندي لابن ماجه» تحت حديث (٣٣٤٩)]

فالشبع المستمر يولِّد البدانة الممرضة، والتكاسل عن العبادات والواجبات، ويولِّد كثرة النوم، وعدم المبالاة بالفقراء والجياع، ويولِّد الترف، ويشغل الوقت في الكلام عما أكل وما سيأكل ويفضي إلى البطالة والمعصية، وإن كثرة الشبع ليست من صفات المؤمنين، وأشار إلى هذا النبي ﷺ بقوله: «المؤمن يأكل في مِعىً واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء» [«البخاري» (٥٣٩٣)]، وهذا مثل مضروب للمؤمن وزهده بالدنيا، والكافر وحرصه عليها والاستكثار منها، ولا يعني هذا أن يظل الرجل جائعاً! لا، لا يقول هذا أحد؛ بل قد ذم ﷺ الجوع بقوله: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع؛ فإنه بئس الضجيع. .» [ص د (١٥٤٧)]، فالجوع يضعف البدن، ويشوش العقل.

والشبع يفضي إلى المفاسد المذكورة، فالوسطَ الوسطَ عبادَ الله، بأن نأكل حتى يذهب الجوع، لا إلى أن نشعر بالامتلاء.

١٥) «لا صلاة بحضرة طعام»:

[حديث في «صحيح مسلم» (١٢٤٦)]

إنّ مِن تيسير الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- على المكلَّفين أنه رخَّص لهم رخصاً ليرفع الحرج عنهم، وليعينهم على الاستمرار في العبادة وعلى عدم الانقطاع فمن ذلك

أنه رخص لهم ترك صلاة الجماعة - والتي هي واجبة على الصحيح- حين يحضر الطعام، أي: إذا أقيمت الصلاة والطعام جاهز، أو وهو يأكل فله الاستمرار وتأخير الصلاة.

ولكي ينطبق هذا الحديث على واقع المكلف ينبغي أن تجتمع ثلاثة أمور:

١- أن يكون الطعام جاهزاً.

٢- تكون نفسه مقبلة عليه.

٣- أن يكون قادراً على تناوله أي: أن لا يكون صائماً، أو لا يستطيع أكله لأنه يضرُّه.

وهكذا الإسلام يسير في أحكامه آخذاً بالوسط في تشريعاته، فلم يجعلْ حاجات العبد سببا لضياع العبادات، ولا العبادات سببا لهلاك العبد وإضراره.

فائدة:

ليس من يسر الإسلام مطلقاً الأخذ بالوسط في تشريعاته، فلم يجعل حاجات العبد سبباً لضياع العبادات، ولا العبادات سبباً لهلاك العبد وإضراره.

وليس من يسر الإسلام -مطلقاً- الأخذ برخص العلماء، كأن يذهب الرجل، وينظر ماذا قال فلان، وماذا قال غيره، ويأخذ بالأسهل وما يوافق هواه؛ ولو كان خطأً وخالف الدليل.

وهذا الأسلوب لا يوافِق عليه مسلم فطن؛ بل إنَّ العاقل يرى أن هذا اتباع للهوى يدل على التهرُّب من الأحكام وعدم الاستسلام لها، وضعف في الإيمان، واتباع لوسوسة الشيطان.

وهذا يبعد المسلم عن الخير كلَّ البعد؛ لأن المسلم يكسب الأجر بمجاهدة هواه لطاعة ربه واتباعه للحقِّ.

وأختم بقول الإمام الشاطبي: «تتبع الرخص ميل مع أهواء النفوس، والشرع جاء بالنهي عن اتباع الهوى، فهذا مضادٌّ لذلك الأصل المتفق عليه، ومضاد لقوله -تَعَالَى-: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ فلا يصح ردُّه إلى أهواء النفوس. [«الموافقات»]

وللبحث بقية . . .

قطع اللجاج في حكم المظاهرات

• بقلم: الشيخ سعيّد بن هليّل العمر

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقِّ ليظهرَه على الدِّين كله وكفى بالله شهيداً.

والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي جاء بها بيضاء نقية -صلى الله عليه وآله وأصحابه وأتباعه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين-.

أما بعد:

فقد أمرنا الله -عز وجل- في كتابه بلزوم الصراط المستقيم والهدي القويم بقوله -تعالى-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وحذَّرنا -سبحانه- عن مخالفة أمر نبيه ﷺ بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

وكذلك حذَّرنا النبي ﷺ عندما قال: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعدي».

[حديث صحيح رواه الترمذي وأبو داود]

وأخبر -عليه الصلاة والسلام- كما في الحديث المتفق عليه من حديث عائشة- أن من تتبَّع المتشابه من القول فهو زائغ، عندما قال: «إذا رأيتم الذين يتّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله؛ فاحذروهم».

وحذَّر -عليه الصلاة والسلام- من علماء الضلال بقوله: «إن الله لا ينزع العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس

ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالماً اتَّخذ الناس رؤوساً جُهَّالاً، فسُئلوا، فأفتوا بغير علم؛ فضلُّوا وأضلُّوا». [متفق عليه].

وفي لفظ للبخاري: «فأفتوا برأيهم»، وما أكثرهم في هذا الزمان الذي اختلطت فيه الأمور والتبست على من قلَّ علمه فأخذ يجاري أهواء الجماهير من الناس، سواء كانت على حقٍّ أو باطل، وأخذ يخشى من الصدع بكلمة الحقِّ؛ لأنها تخالف الرأي العام -كما يقولون- وأخذوا يجارون دهْماء الناس، خاصَّةً عند اختلاط العالم ونظام العولمة، حيث اتصل العالم بعضه ببعض؛ فظهرت شعارات برَّاقة، كـ(الديمقراطية)، و(الحرِّية)، و(حقوق المرأة)، و(حقوق الإنسان)، و(المساواة) -يعني- بين الجنسين(!) وما شاكل ذلك، قَبولاً عند من زاغت قلوبهم، أو تتلمذوا على أيدي الغرب، فكتبت فيه الصحف، وراحت فيها وسائل الإعلام، وظهر صداها حتى ظنَّت أنَّها من الحقِّ وهي من أبطل الباطل.

ومن تلك الدعوات الجاهلة ظهر ما يسمى بـ«المظاهرات» وأول من أسَّس هذه المظاهرات هم الكفرة، الذين لا يحكِّمون نقلاً، ولا عقلاً، ثم انتقلت هذه الفتنة لبعض بلاد المسلمين، نقلها تلامذة الغرب لتلك البلدان.

ومن المعلوم أن الفتن والبدع والشعارات البرَّاقة تكثر عند قِلَّة العلماء، وتخبو نارها مع وجودهم.

وقد حفظ الله -تعالى- هذه البلاد -أعني: الحرمين- من فتن عظيمة، وشرور جسيمة، وبدع بفضل الله، ثم بوجود تلك الثُّلة من العلماء الربانيِّين الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، فكلما ظهرت قرون بدعة؛ قمعوها، وكلما اشرأبَّت أعناق أهل الضلال، قصموها بالعلوم الشرعية، والبراهين الربانيَّة، والسنن النبويَّة، والآثار السلفيَّة.

وما كنت أظن أن هذه البلاد سيخرج من أبنائها من ينادي إلى هذه التّرهات والنعرات الجاهلية حتَّى سمعنا بوقوعها ومناداة قوم بها، ولا شكَّ أنهم تأثروا بغيرهم، أو أفتوا بغير علم

ولقائل أن يقول: ما حكم هذه المظاهرات؟

فالجواب: أنها بدعة وذلك من وجوه:

الأول: أن هذه المظاهرات أقيمت لنصر الدين، ولإعلاء كلمة المسلمين، خاصَّة في البلاد الإسلامية.

فهي عبادة في نظر المقيمين لها، وباب من أبواب الجهاد عندهم، ومن المعلوم أن العبادة الأصل فيها الحظر إلا ما دل عليه الدليل.

لذا كان فعلها من هذا الباب بدعة وحدَث من المحدثات، وقد قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» [متفق عليه] -ولمسلم وعلَّقها البخاري: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا».

الثاني: أن النبي ﷺ تعرَّض للفتن والمحن، وهكذا أصحابه من بعده كما في حروب الردّة -وهكذا أمته على مرّ العصور-؛ فلم يعمدوا إلى هذه المظاهرات ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

الثالث: أن بعض الناس ينسب هذا الفعل إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهذا غير صحيح إطلاقاً؛ إذ لم يثبت هذا عند أهل النقل، وبذا تكون نسبة هذا الفعل -أعني: المظاهرات- كذباً على الفاروق الذي أسلم جهاراً، وهاجر نهاراً -رضي الله عنه-.

الرابع: أن فيها تشبُّهاً بالكفَّار وقد قال النبي ﷺ: «من تشبَّه بقوم فهو منهم» رواه أبو داود بإسناد حسن؛ إذ لم تعرف هذه المظاهرات في تاريخ المسلمين، وما عرفت إلا بعد اختلاطهم بأهل الكفر.

الخامس: أنها لا تُحِقُّ حقاً، ولا تبطل باطلاً -في الغالب-، وهذا العالم يتظاهر بأسره لِوَقْفِ عدوان اليهود على فلسطين فهل توقَّفوا، أم ازداد شرُّهم لما رأوا نجدة الضعفاء؟!

ولو قال قائل: إنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقيل لا ينكر المنكر بمثله؛ لأنَّ المنكر لا ينكره إلا من عرف الحقَّ من الباطل، فأنكر عن علم وبصيرة ولا يعهد منكر أنكر بهذا الأسلوب.

السادس: من الأهداف الخفيَّة وراء إقامة هذه المظاهرات، ومن المآخذ عليها في الوقت نفسه: أنها أداة وسبب لتفريغ حماس الشعوب، فإذا خرجوا وصاحوا وجالوا في الشوارع؛ عادوا إلى منازلهم، وقد ذهب شيء كبير مما في صدورهم، فحصل لهم من العناء ما الله به عليم، والواجب عليهم توظيف هذا الحماس في طاعة الله، وتعلُّم العلم النافع، والعمل الصالح، والدعاء، والإعداد للأعداء عملاً بقوله -تعالى-: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

السابع: لأنه يتخلَّلها من المنكرات الشيء الكثير، فخروج النساء، والصبيان، والاختلاط، وإلصاق الجلود بالجلود، والخلوة إلى غير ذلك من المنكرات كالسبِّ، والشتم البذيء، وساقط القول يدلُّ على حرمتها.

الثامن: أن من المقرَّر في شريعة الإسلام أن كل عمل مفاسده أكثر من مصالحه فهو حرام.

وقد تؤتي هذه المظاهرات بعض الغرض: كرخص السلع، لكن فيها من المفاسد ما هو أكثر من المصالح -خصوصاً- إن كانت ملبسة بلباس الدين والدفاع عن المقدَّسات.

التاسع: أن فيها سخطاً على الله وتسخُّطاً على القدر، ومعلوم أن النبي ﷺ قال: «إذا أحبَّ الله قوماً ابتلاهم فمن رضي؛ فله الرضى، ومن سخط؛ فله السخط».

وقد استغاث النبي ﷺ بربه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩]، وتضرَّع يوم بدر حتى سقط رداؤه، وأمر أصحابه بالصبر على أذى المشركين، ولم يدع النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه إلى شيء من ذلك، مع أنهم زُلزلوا، ومستهم البأساء والضراء، فهو منافٍ للصبر الذي أمر الله به عند جور السلاطين، وحدوث النوازل والنَّكبات.

العاشر: أنها مفتاح للخروج على ولاة الأمور الذين نهانا شرعنا بعدم

الخروج عليهم، فكم من مظاهرة أدَّت إلى سقوط دولة، وحصل بسبب ذلك سفك الدماء وانتهاك الأعراض والأموال والفساد العريض.

الحادي عشر: أنها تجعل للسفهاء وللنساء وللرويبضة رأياً، فقد يُلبَّى طلبُه، ولو كان فيه الشرُّ للأمَّة، ويتكلم فيها الرويبضة بأمر العامَّة.

بل إنَّ الغوغاءَ، وأهل الشرِّ، والنساءَ هم الذين يتصدَّرون هذه المظاهرات، وهم الذين يهتفون بالناس ويشجعونهم(!)

الثاني عشر: أن أهل هذه المظاهرات يفرحون بكلِّ من خرج معهم، ولو كان يكفِّر الصحابة أو يتبرك بالقبور، بل حتَّى ولو كان مشركاً؛ فتجد من يرفع القرآن، وبجانبه من يرفع الصليب، والآخر نجمة داود، فهي مجال لكلِّ ملحد وكافر ومبتدع.

الثالث عشر: أنَّ هؤلاء المتظاهرين يعيثون في الأرض فساداً؛ فيقتلون، وينهبون، ويحرقون، ويتعدون على الأنفس والممتلكات: حتى قال أحد اللصوص: إننا لنفرح إذا حصلت مظاهرات لكثرة ما نسرقه وننهبه من خلال مسيره معهم(!)

الرابع عشر: أنه يُعرِّضون أنفسهم للقتل والأذى، وقد نهى الله عن قتل النفس بقوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

حيث يحصل فيها مصادمات بينهم وبين رجال الأمن؛ فيؤذَوْن ويذِلُّون وقد قال النبي ﷺ: «لا ينبغي للمؤمن أن يذلَّ نفسه». فقيل: وكيف يُذلُّ نفسه؟ قال: «يتحمل من البلاء مالا يطيق». [حديث حسن رواه الترمذي]

ختاماً أسأل المولى -عزَّ وجلَّ- أن يرينا الحقَّ حقّاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يقيَنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولعلمائنا، وأن يوفِّق ولاة أمورنا إلى ما فيه صلاح البلاد والعباد، وأن يعينهم على تحكيم كتاب ربهم وسنة نبيهم.

آمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

النشاطات الدَّعوية والعلميّة لـ«مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية»

* ما بين الفترة (٢٥/ جمادى الأولى/١٤٢٣هـ) الموافق (٢٠٠٢/٨/٥م) إلى (١/ جمادى الآخرة/ ١٤٢٣هـ) الموافق (٢٠٠٢/٨/١٠م) عُقد في مدينة (لوتن) البريطانية «دورة شيخ الإسلام ابن تيمية»، شارك فيه أصحاب الفضيلة المشايخ: محمد بن موسى آل نصر، وسليم بن عيد الهلالي، وعلي بن حسن الحلبي، وأسامة القوصي من (جمهورية مصر). وقد اشتملت على المواد العلمية التالية:

المادة	اسم الكتاب	أستاذ المادة
١- علوم القرآن	«مدخل إلى علم القراءات»	الشيخ/ محمد بن موسى نصر
٢- علوم الحديث	«المقدمة الموقظة»	الشيخ/ سليم بن عيد الهلالي
٣- الفقه	«منهج السالكين»	الشيخ/ علي بن حسن الحلبي
٤- أصول السنة	«أصول السنة»	الشيخ/ أسامة القوصي

ـ شارك في هذه الدَّورة ما يقارب المئة طالب، وكان المشرف على الدورة الأخ عبدالقادر أبو سيف.

** ما بين الفترة (١/ جمادى الآخرة/١٤٢٣هـ) الموافق (٢٠٠٢/٨/١٠م) إلى (٢/ جمادى الآخرة/ ١٤٢٣هـ) الموافق (٢٠٠٢/٨/١١م) أُلقيت في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية - بركستون - (لندن -بريطانيا) المحاضرات التالية: «أهمية العلم»، «شرح حديث (طوبى للغرباء)»، «القابضون على الجمر»، «علم الجرح والتعديل»، وأُلقيت ندوة بعنوان: «الإرهاب وخطره على الأمة».

شارك في هذه الندوة والمحاضرات أصحاب الفضيلة المشايخ: محمد بن موسى آل نصر، وسليم بن عيد الهلالي، وعلي بن حسن الحلبي، وأسامة القوصي.

وكان الحضور يزيد على خمس مئة مشارك، وكان المشرف على المؤتمر الأخ أبو حنيفة عبدالحق بيكر.

* وهذه الدَّورات والمؤتمرات تمت بالتعاون مع «مركز الإمام الألباني».

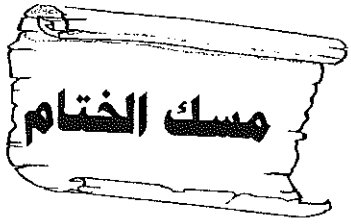

النُّفور السنِّي، والخروج البدعي

• بقلم: التحرير

قال اللهُ -تعالى-: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة: ١٢٢]

ففي يوم السبت (٢٣/ربيع أول/ ١٤٢٣هـ الموافق ٨/٦/٢٠٠٢م) توجَّه طلبةُ السلفيون العلم القائمون على (مركز الإمام الألباني) -في الأردن- إلى الشمال حيث مدينة الرمثا الأردنية؛ لإقامةِ يوم علمي، وإحياءِ سنة النُّفور للدعوة والتعليم، نعم إنَّه نُفُور ليس كخروج العوام وأشباه العوام(!) إنه نُفُور السنة لتعليم الناس التوحيد والعلم، وتصحيح عقائدهم ومفاهيمهم، وتصفية ما عَلِقَ بأذهانهم من تصوُّرات خاطئة، وأفهام معوجَّة.

لقد كانت فرحةُ إخواننا في الرمثا غامرةً لا توصف، وقد خرجوالاستقبال إخوانهم -جزاهم الله خيراً- واجتمع الإخوة في المسجد الجامع، وبدأت المحاضرات والدروس حول الدَّعوة والمنهج قبل الظهر بساعة، وانتهت مع صلاة العصر، وكان -ثمّةَ- وقت للأسئلة والأجوبة . . .

وكان عدد الحضور كثير، يسرُّ أهل السنة، ويقمع أهل البدعة، ولله الحمد والمنة.

بدأ الشيخ محمد بن موسى آل نصر بمحاضرته (منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله)، ثم تبعه الشيخ سليم بن عيد الهلالي فألقى محاضرة حول (أهداف الدعوة السلفية)، ثم تلاه الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان فتكلم حول (الفتن وموقف طالب العلم منها)، ثم ختم الشيخ علي بن حسن الحلبي محاضرته حول (خواطر دعوية).

ثم أعقب ذلك الإجابة على بعض الأسئلة.

لقد كان هذا اليوم العلميُ يوماً مشهوداً -والحمد لله-؛ بل يوماً من أيام الله، وقد رأى الجميع ثمرات هذه الجولة الدَّعْوية والتي ستعقبها -بإذن الله- جولاتٌ وزياراتٌ للجنوب ثم للوسط؛ لتكون رحلات علمية نافعة صالحة مصلحة، تذكّر بأيام السلف ورحلاتهم في طلب العلم، وتحيي سنَّة نُفور العلماء، لا كخروج الجماعات البدعية التبليغية؛ تبلِّغ ماذا؟!! الأحاديثَ الموضوعةَ، والقصصَ الواهيةَ، وتصديرَ العوامِّ، وقيامَهم مقامَ العلماء تزهيداً في العلماء وتصديراً للجهلة . . . يؤتى بهذا (المُبيِّن) من الخمارة -وبعد يوم، أو يومين، أو ثلاثة- ولما يصحو بعد من سكره- يقال له: قم بيّن، فيقول -بذهول ودهشة-: وماذا أبين؟! يقال له: قم فقط؛ والله يفتح عليك!! فيقوم على خجل ووجل ورهبة، رجلاه تصطكّان، وفرائصه ترتعد، فلا يملك إلا كلمة حفظها يبقى يردِّدها لا يزيد عليها، وإن زاد عليها أساء ولم يحسن: (يا أحبابنا الكرام)!!!

وقد حدث لأحد هؤلاء أن أُقيم بعد ثلاث، وقد رُئيَ على حال يُرثى لها شكلاً ومضموناً، ثم صُدِّر وهو صفر أو دون الصِّفر ، قام بعد تخجيل وإكراه، تصبَّب العرق من رأسه إلى أخمص قدميه، ولم يملك أو يدر ما يقول سوى: (يا أحبابنا الكرام) كرَّرها كثيراً إلى أن

قال -ومن غير شعور-: (يا أحبابنا الكلاب)! لا يدري ما قال إلا أنه قالها، فمن ضاحك، ومن شاتم، ومن فارٌ من الحلْقة، ومن داع عليه بسواد الوجه ...

فإلى الله المشتكى من جهل الجهلة وأفعالهم . . .

ولهذا كان شيخنا الإمام الألباني -رحمه الله- يقول في هؤلاء: «صوفية عصرية»، والصوفية لا تفشو إلا على الجهل، وبين الجهلاء والعوامِّ، فهل يرحل ويجلس هؤلاء -الذين يتصدَّرون للدَّعوة والتبليغ -زعموا- بين يدي العلماء، وطلبة العلم فيتأهَّلوا قبل أن يتصدَّروا؛ ليكونَ خروجُهم على السُّنة -كخروج طلاب العلم- قديماً وحديثاً.

عسى أن يكون ذلك قريباً، وحينئذ يضعون أقدامهم على الجادَّة المستقيمة.

والله الموفِّق لا إله غيره ولا ربَّ سواه.

البدعة شرٌّ مِن المعصية

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-:

«وكان قد قال بعضهم: «نحن نتوّب النّاس». فقلتُ: «مما ذا تتوبونهم!». قال: «من قطع الطريق، والسّرقة ونحو ذلك». فقلت: «حالهم قبل تتويبكم خيرٌ من حالهم بعد تتويبكم! فإنهم كانوا فساقاً يعتقدون تحريم ما هم عليه، ويرجون رحمة الله، ويتوبون إليه، أو ينوون التّوبة، فجعلتموهم بتتويبكم ضالين مشركين خارجين عن شريعة الإسلام! يحبون ما يبغضه الله، ويبغضون ما يحبه الله. وبيّنتُ أن هذه البدع التي هم وغيرهم عليها شرٌّ من المعاصي . . .»إلخ.

[«مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٧٢)]

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز الإمام الألباني
للدراسات المنهجية والبحوث العلمية

(قسيمة اشتراك)

الاسم: .....

الدولة: ..... المدينة: ..... الحي: ..... الشارع: .....

رقم المنزل: ..... الهاتف: ..... الفاكس: .....

العنوان البريدي: .....

.....

.....

ماذا يستفيد المشترك:

١ـ مجلة الأصالة. ٢ـ نشرات المركز العلمية. ٣ـ نشرات المركز السمعية.

٤ـ صحيفة «البينة» باللغة الإنجليزية. ٥ـ خصم ٢٠٪ من الدورات العلمية التي يعقدها المركز.

٦ـ خصم ١٠٪ لمن يشترك لأكثر من سنة.

ـ قيمة الاشتراك السنوي: (٦٠) دينار للأردن - (٢٠٠) دولار لدول الخليج - (٢٥٠) دولار لأوروبا

- (٣٠٠) دولار لأمريكا.

ـ اقتراحات أخرى.

.....

.....

ـ رقم الحساب: (١١٢٥٩) البنك الإسلامي الأردني - فرع طارق.

(ترسل الاشتراكات بحولات بنكية مصدَّقة باسم: محمد موسى نصر وسليم عيد الهلالي).

. يُرسل إشعار الحوالة إلى عنوان «مركز الإمام الألباني».